الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: . . . . . / 2024.

جهود العثمانيين في تحرير مدينة بجاية وأثرهم

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في :

شعبة: التاريخ **تخصص:** تاريخ الجزائر الحديث

من إعداد:

- صباح مجناح
- حليمة قيسوس

إشراف الدكتورة:

- د. يمينة بن رحال

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
الأستاذة معوشي أمال	جامعة المسيلة	رئيسا
الأستاذة بن رحال يمينة	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
الأستاذ سرحان عبد الحليم	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1445 - 1446هـ / 2023-2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل

وعملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

من لا يشكر الناس لا يشكر الله

أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذتنا المشرفة

بن رحال يمينة

التى قبلت الاشراف على إنجازنا لهذا العمل

والتى قدمت لنا يعد العون لإنجاز هذا العمل

وفي الأخير أشكر كل من ساهم في

خروج هدا العمل الى الوجود.

قيسوس حليمة

مجناح صباح

إهـداء

اول من يشكر ويحمد اناء الليل وأطراف النهار هو العلي

القاهر الواحد الأحد، أهدي ثمرة جهدي الى...

والـدي الكريميـــن

اللذان أنار لي دوما دروب النجاح

إلى... **زوجـي " مـــراد"** الذي تحمل تقصيري وإهمالي معه

طيلة فترة انجاز بحثي والتقصير في حق أبنائي كل باسمه....

ميسـاء، منـذر، محمـد إسـلام وصغيـري مؤيـــد .

كما أهدي هذا العمل إلى كل أخوتي وأخواتي كل بإسمه

وإلى كل من ساعدني من قريب او بعيد .

مجناح صباح

إهـداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلى اعز واغلى ما أملك في الوجود

أبي وأمي

اللذان لم يبخلا علي بعطائهما المستمر اطال الله في عمرهما

وإلى زوجي ورفيق دربي **خليل**

الذي ساعدني طيلة إنجاز بحثي إلى من هم دوما بجانبي وبدون سبب

وشروط فلذات كبدي اولادي **رامي ،دينا، وصال**

وإلى اخواتي **صونية وعبلة** وأخي العزيز **رضوان وزوجته**

وإلى صديقتي واختي **مجناح صباح** التي قاسمتني هذا العمل.

قيسوس حليمة

مقدمة

مقدمة:

للجزائر تاريخ ضارب في أعماق الزمن؛ فكلما اطلعت على صفحة منه زادتك معرفة واهتماما، فتاريخ الجزائر في فترة الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية سنة 1505م، وبداية التواجد العثمانيين وجهودهم في التصدي لهذا الغزو سنة 1512م من الفترات التي وجب الاطلاع عليها، لقد كانت الظروف القائمة في الجزائر تنذر بالسوء جراء الاعتداءات المتكررة من قبل الدول الأوروبية الطامعة في مقدراتها مع ذروة الاستعمار والاستحواذ على المناطق الإسلامية بعد انهيار الحكم الإسلامي في الأندلس 1492م، فكانت التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي فصلا لفصول الحروب الإسبانية .

حيث تمكن الإسبان في ظل هذه الظروف من غزو عدة مدن ساحلية ومحاولة السيطرة عليها منذ سنة 1505 م، وقد واجهوا مقاومة شديدة من قبل أهالي الجزائر الذين فشلوا في صدها، بسبب اختلاف ميزان القوى وما يتمتع به الغزو الإسباني من قدرات وإمكانيات عسكرية كبيرة، وكذلك بسبب ضعف حكام الجزائر الذين دخلوا في تحالف مع الإسبان من أجل الحفاظ على حكمهم، ولم يكن يهمهم استقلالية الجزائر وحماية أراضيها.

وقد نجح الإسبان في السيطرة على أهم المواقع الاستراتيجية في سواحل الجزائر، فمن بينها مدينة بجاية، التي تم الاستيلاء عليها نهائيا يوم 25 ماي 1510م، حيث كانت هذه الأخيرة مطمعا من مطامع الاسبان نظرا بما تتميز به من مكانة استراتيجية واقتصادية، حيث أمضت الاستعدادات الإسبانية وقتا لتنظيم حملة ضد مدينة بجاية، مستغلة الصراعات والخلافات العرشية التي كانت تعيشها مدينة بجاية تلك الفترة، وعلى هذا أتيحت للإسبان الفرصة للقيام بحملة كبيرة ضد بجاية.

وإثر هذه الحملة الصليبية، وغياب شبه كلي للدور القيادي الذي يُفترض أن يقوم به الزعماء المحليون في مثل هذه الظروف، الأمر الذي جعل أهالي المنطقة يلجؤون للدولة العثمانية مستغيثين بها بُغية طلب العون منها، ومدّهم المساعدة بعدما وقفوا عليه من ضعف دولتهم التي لم يعد بإمكانها حماية أراضيها من الهجومات الإسبانية.

إضافة إلى الصراع الداخلي الذي كان يدور بين سلاطينهم، مما دفع الدولة العثمانية للاستجابة لندائهم والانخراط في صوفهم بقيادة الأخوين "بربروس"، اللذان كان لهما الأثر البارز في بث الأمن والطمأنينة في نفوس أهالي المنطقة.

في حين كان الأخوين "بربروس" في خدمة السلطان الحفصي في تونس من خلال قرصنة السفن والمراكب المسيحية، قاما بمراسلة "السلطان سليم الأول" حيث أرسم لهما مركبا يُظهر خضوعهما، فقبلها السلطان وأرسل لهما سفن يستعينوا بها، حيث أنشأ الأخوان بربروس قاعدة لدولة قوية بفضل الدعم العثماني، واستطاعا بذلك صد الهجمات الإسبانية التي تعرضت له سواحل الجزائر وجعلها دولة قوية لها هيبتها في مصاف الدول الأوروبية، وهذا ما أدى إلى تحولات جذرية مست الخارطة برمتها.

1- أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أهمية ودواعي اختيارنا لهذا الموضوع لعدة دوافع، منها ذاتية وأخرى موضوعية، وتتمثل في:

*** الدوافع الذاتية**:

- ميولنا الشخصي لدراسة تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية بصفة عامة وبمدينة بجاية بصفة خاصة.
- السعي لإثراء الرصيد المعرفي في هذه الفترة من التاريخ.
- جمع ومناقشة قدر المستطاع من المعلومات التي قد تفتح المجال للباحثين، ليضيفوا ما لم نستطع الوصول إليه .

*** الدوافع الموضوعية**:

- التعرف على الأسباب الحقيقية التي كانت وراء التحرشات الإسبانية لمدينة بجاية ومواقف سكان بجاية من هذا الاحتلال.
- تسليط الضوء على جهود الإخوة بربروس في مدينة بجاية.
- التعرف على ظروف الوجود العثماني وأثره على مدينة بجاية.
- تزويد المكتبة العلمية في دراسة التاريخ الجزائري خلال العهد العثماني بعمل يستفيد منه الباحثين في المستقبل في جوانب مختلفة ومتعددة.

2- إشكالية البحث:

من خلال ما سبق، ارتأينا أن نضع إشكالية التي سنحاول من خلالها الوصول إلى العديد من النتائج التي تخص الدراسة وهي:

➢ ***ما هي جهود العثمانيين في تحرير مدينة بجاية ؟***

* حيث يتفرع هذا الطرح لعدة تساءلات فرعية وهي:

- *ماهي الظروف العامة للجزائر خلال الفترة العثمانية؟*
- *ماهي دوافع الغزو الإسباني على مدينة بجاية؟*
- *وماهي جهود الإخوة بربروس في تحرير مدينة بجاية ؟*

3- خطة البحث:

* قمنا بتقسيم عملنا هذا إلى:

⇦ **مقدمة عامة**

⇦ **«مدخل عام»** نتحدث في هذا المدخل حول «أوضاع الجزائر خلال نهاية القرن 15م» حيث نتكلم هنا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والعلمية في هذه الفترة، إضافة إلى التطرق لضعف الدولة الموحدية وسقوطها.

⇦ **«الفصل الأول»** هذا الفصل تطرقنا فيه إلى « الغزو الإسباني وبداية الوجود العثماني بالجزائر» قمنا بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث، جاء في "المبحث الأول" دوافع الاحتلال الإسباني للجزائر، ثم يليه "المبحث الثاني" لنعالج فيه بداية الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية"، وأخيرا "المبحث الثالث" لنتطرق فيه إلى بداية الوجود العثماني بسواحل شمال إفريقيا".

⇦ **«الفصل الثاني»** جاء تحت عنوان «جهود العثمانيين في تحرير مدينة بجاية» وهو الآخر تم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، خصصنا "المبحث الأول" لنتحدث فيه عن الموقع الجغرافي وأهميته لمدينة بجاية، ثم يأتي "المبحث الثاني" نعالج فيه التحرير العثماني لمدينة بجاية"، وأخيرا "المبحث الثالث"، نتناول استراتيجية العثمانيين في بجاية.

⇦ **خاتمة**

⇦ **قائمة المصادر والمراجع**

⇦ **ملاحق**

⇦ **ملخص الدراسة**

4- مناهج البحث:

في دراستنا لهذا الموضوع، اعتمدنا على **"المنهج التاريخي"**، وهو منهج يهتم برصد الأحداث وتسلسلها من حيث الزمان والمكان، كما يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث وتفسيرها على أسس علمية بهدف الوصول إلى تعميمات تساعد على فهم الماضي والحاضر، إضافة إلى **"المنهج الوصفي التحليلي"** ، والذي استعملناه في جمع الوثائق والمعلومات التاريخية، ووصفها وتحليلها والتأكد من صحتها من أجل تحقيق نتائج أكثر وضوح، كذلك اعتمدنا على المنهج الإحصائي.

5- أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها:

- كتاب «افريقيا» ""**لمارمول كربخال**" والذي يعد مصدرا هاما خلال القرن 16م، خاصة ما تعلق بالحملات الإسبانية على السواحل الجزائرية.
- كتاب «مذكرات» لـ "**خير الدين بربروس**".
- كتاب «الجزائر خلال الحكم التركي» "**لصالح عباد**" الذي تناول بداية التواجد العثماني بالجزائر.
- كتاب «الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية» لـ"**عبد القادر فكاير**"، والذي احتوى على معلومات قيّمة.
- مجموعة من كتب "**يحي بوعزيز**"، والتي تناولت «أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الموجز في تاريخ، مدينة وهران عبر تاريخ، ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري»
- كتاب "**محمد خير فارس**" «تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي» لسنة 1969م.
- كما استعنا في إنجاز هذه الدراسة لمجموعة من الرسائل الجامعية والمقالات المحلية.

6- صعوبات البحث:

لقد اعترضتنا بعض الصعوبات والمعيقات في دراستنا لموضوع "جهود العثمانيين في تحرير مدينة بجاية (1512-1514م)" أبرزها صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع المتعلقة ببعض عناصر الدراسة، وخاصة بطول الفترة الزمنية، تشبع بعض المعلومات وتكرارها وتشابهها في معظم المصادر والمراجع، إضافة إلى مشكل المراجع المترجمة.

مدخل عام

أوضاع الجزائر في نهاية القرن 15م

1/- الأوضاع السياسية والعسكرية

2/- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

3/- الأوضاع الثقافية والدينية

4/- ضعف الدولة الموحدية وسقوطها

تمهيد:

الدولة الموحدية تأسست على يد "**محمد بن عبد الله**"،المعروف باسم "ابن تومرت" الملقب بالمهدي بين أحضان قبائل مصمودة بالمغرب الأقصى ، في شكل حركة دينية سياسية، وكان ذلك في القرن السادس الهجري ، هدفها إقامة خلافة إسلامية تعود بالمسلمين إلى عهد الخلفاء الراشدين ، مركزة على الدعوة إلى التوحيد الخالص ، و لذلك أطلق ابن تومرت على أنصاره اسم" الموحدين "و سميت الدولة التي قامت على دعوته دولة "الموحدين" وقد تحدثت أغلب المراجع عن حياة محمد بن تومرت.[1]

وتعتبر دولة الموحدين أول دولة بربرية ادّعت الخلافة، وحكومتها مقيدة بالكتاب والسنة، انحصرت الخلافة فيها بعد رحيل ابن تومرت في بني عبد المؤمن و قد نشأ عبد المؤمن التاجري الكومي الندرومي التلمساني في أسرة فقيرة يطلب العلم في بلده ثم هاجر في سبيل ذلك ، احترف تعليم الصبيان و أخذ العلم عن ابن تومرت ببجاية.

فيه رسم خطته التي هزّت العالم، ولئن كان المهدي ابن تومرت هو صاحب دعوة الموحدين، والثائر على دولة المرابطين، و الواضع لخطط الثورة، فإن عبد المؤمن هو رجل الدولة الذي اضطلع بتنفيذ جميع برامج الثورة والاستيلاء على مملكة المرابطين و تحقيق وحدة الشمال الإفريقي.[2]

فقد أعطت الجزائر الموحدين عبقريا عظيما، أسس الملك و قاد الانتصارات ووحد المغرب والأندلس وهو من أبرز قادة العصور الوسطى في الحروب والإدارة والسياسة[3]، وبفضل حنكة عبد المؤمن ، تم القضاء على المرابطين بمراكش ، وعلى الحماديين ببجاية و على حكم النورمان بالمهدية في تونس، ومن خلال هذا سنحاول التطرق إلى أوضاع الجزائر خلال فترة دولة الموحدين، وأسباب ضعفها وسقوطها.

[1]- عبد الرحمن عبان، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين – دراسة في موضوعاته وبنيته- ابن معطي نموذجا، مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2018-2019، ص18.
[2]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، دار الكتاب اللبناني، ط3، ج1، ص113.
[3]- يحيى بوعزيز ، جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية ، مجلة الأصالة الجزائر، رقم 26، ص 287.

1/- الأوضاع السياسية والعسكرية:

كانت الجزائر في العهد الموحدي مقسمة إلى ولايتين كبيرتين، الأولى تلمسان التي كانت تمتد من ملوية غربا إلى نهر مينة شرقا والثانية بجاية التي كانت تمتد إلى قسنطينة، ومن أشهر ولاة تلمسان نذكر سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي الذي تولى الحكم مع بداية الحكم الموحدي للمدينة، وفي سنة (549ه/1154م) تم تعيين أبي حفص عمر بن عبد المؤمن بن علي واليا على تلمسان، ثم من بعده أبي عمران موسى بن عبد المؤمن في سنة (556ه/1161م). وفي سنة (576 ه/1181 م) عين يوسف بن عبد المؤمن أبا موسى عيسى بن عبد المؤمن واليا على المدينة .

كان حكام الدولة الموحدية[1] يتلقبون بالخلفاء، ومنهم من تلقب بالمنصور والناصر، وكان الحكم وراثيا في عقب عبد المؤمن بن علي، وكان للدولة الموحدية جيش ضخم بلغ في بعض الأحيان (400) ألف فارس عدا المشاة، كما اهتم الموحدون ببناء الأسطول، وكان أسطولهم في عهد عبد المؤمن بن علي يتكون من حوالي (400) قطعة بحرية[2].

وانتهت معركة حصن العقاب بهزيمة قاسية للموحدين في الأندلس على يد النصارى في سنة (609ه/1212م) آثار وخيمة على الدولة الموحدية، حيث انفصل بنو حفص واستقلوا بالمغرب الأدنى (ليبيا وتونس والشرق الجزائري) في سنة (626ه/1229م)، واتخذوا من مدينة تونس عاصمة لهم ، ثم انفصل بنو زيان بالغرب الجزائري وأسسوا الدولة الزيانية في سنة (633ه/1235م)، وعاصمتها تلمسان، كما تمكن المرينيون من القضاء النهائي على دولة الموحدين في سنة (668ه/1269م) وتأسيس الدولة المرينية وعاصمتها مدينة فاس.[3]

2/- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

تذكر المصادر والمراجع التاريخية أن الخليفة عبد المؤمن نظم الزراعة فأمر بمسح الأراضي الزراعية ولم يهمل أي جزء من الأرض الصالحة للزراعة فكان الإنتاج متنوعا كالحبوب والزيتون وقصب السكر وغيرها، كما اهتموا لثروة الحيوانية فقاموا بتربية الخيل والماشية والثروة السمكية. كما اعتنى الموحدون بصناعة المعادن والأسلحة والصناعة النسيجية وغيرها، ويعود تطور الصناعة في تلك الفترة إلى استقرار الأوضاع في البلاد وتوفر المواد الأولية .

و يقول مبارك الميلي عن فترة الموحدين في الجزائر أنها كانت فترة أمن وعدل لم تشهدها الجزائر من قبل ، إذ نشطت الحركة الاقتصادية الداخلية ، و كانت ببجاية قناصل للدول التجارية ، كما نشطت حركة التصدير و الاستيراد ،و نهضت العلوم و الآداب و الصنائع والحرف.[4]

---

[1]- أنظر الملحق رقم (01)، ص 58.

[2]- ابن عميرة (أبي المطرف أحمد المخزومي)، تاريخ ميورقة، (تح) : محمد بن معمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص28

[3]- مجاني بوبة ، النظم الإدارية في المغرب خلال العصر الفاطمي (226-362ه/909-973م)، (الجزائر، ليبيا، تونس، المغرب، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن، 2010، ص34.

[4]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م، ص687.

شهدت الجزائر في هذه الفترة حركة لمختلف شرائح المجتمع، حيث تكون نسيجها الاجتماعي من عدة عناصر مختلفة، من سكان أصليين ومن وافدين إلى جانب عناصر أخرى من أهل الذة والنصارى.[1]

- **الطبقة الحاكمة:** منهم الأمراء والخلفاء والولاة، من بين حماد و المصامدة والكوميين والحفصين والهنتاتين، وشرخ الموحدين، وحتى ولاة من الأندلس ، حيث كانوا يتسلمون المناصب الكبرى في الدولة كقاضي الجماعة أو قاضي العاصمة، الذي بدوره ينصب على أعمال الدولة قضاة تابعين له.[2]
- **العلماء والأدباء:** كانوا يتمتعون بنفوذ قوي داخل الدولة، لشهرتهم ومنزلتهم الشعبية، حيث كان سكان بجاية يتبركون بالفقهاء والأدباء والأولياء الصالحين في حياتهم وحتى أمام قبورهم بالإضافة أن ولاة بجاية كانوا يجالونهم في مجالسهم ويتشاورون معهم.[3]
- **الطبقة العامة:** هي طبقة بسيطة ، تمثل الأمة، منهم أهل الفلاحة والحمالين والوقادين والطاحنون والبنائين وغيرهم.

3/- الأوضاع الثقافية والدينية:

تمتعت الجزائر في تلك الفترة شهرة ثقافية ودينية واسعة مصدرها النشاط الفكري لمؤسساتها الثقافية العلمية المتعددة، حيث عرف طلابها من علوم متنوعة، منها العلوم النقلية والعلوم العقلية، ومن بين أهم المصنفات العلمية في مجال العلوم النقلية، علوم القرآن من القراءات والتفسير فعلم القراءات، لم يشهد خلال القرن الخامس الهجري ببجاية وغيرها من المدن المغربية تطورا بل انحصر في قراءة القرآن الكريم وحفظه ثم عرضه، لم يزيدوا في فن القراءة وانعدام التنوع في طرق النطق، رغم وجود نخبة كبيرة من علماء القراءات ومصادرها، كما كان مصدر" الشاطبية الكبرى" من أهم المصادر التي عني الناس بحفظها وتلقينها للصبيتهم [4].

ومن أهم حواضر الجزائر في العهد الموحدي نذكر تلمسان التي كانت تضاهي حواضر الإسلام الكبرى آنذاك كالقيروان وفاس وقرطبة، وكانت مركزا كبيرا لطلاب العلم، وخزانا للعلماء والفقهاء، ومن أبرز علمائها نذكر من المفسرين عثمان بن صاحب الصلاة، وهو شارح كتاب الأحكام الصغرى في الحديث، والفقيه ميمون بن جبارة، والفقيه عبد الله بن محمد الفهري.[5]

وفي المجال الشعري والأدبي نذكر محمد بن عبد الحق اليفرني، ومحمد بن عبد الرحيم، كما برزت بجاية كإحدى حواضر الإسلام الكبرى، وكانت محطة كبرى يهاجر

---

[1]- آمنة بوتشيش ، بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الإسباني دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016، ص106.

[2]- زينب عبد الله أحمد كرير، أهل الذمة في العهد الحفصي، رسالة دكتوراه ،جامعة الزقازيق ،كلية الآداب ،قسم التاريخ، 2005، ص97.

[3]- الغبريني أبو عباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية ، (تح): رابح بوتارل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 187،

[4]- مفتاح خلفات ، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين (6ه-9ه/12م-15م) دراسة سياسية وحضارية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص268.

[5]- إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (9/15م) ج2 ، التصوف، ط1، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، المغرب، 2000، ص15.ص76

إليها العلماء وطلاب العلم من مختلف أصقاع العالم لطلب العلم وللقاء علمائها والتتلمذ على أيديهم، ومن أبرز علمائها نذكر الفقيه عبد الحق الإشبيلي البجائي، وكان فقيها مالكيا حافظا عالما للحديث، وابن دحية السبتي، نزيل بجاية وتلمسان، ومن أشهر مساجد بجاية مسجد أبي زكريا الزواوي حيث كان يتردد عليه الكثير من العلماء.[1]

كما كانت للمساجد في العهد الموحدي دورها العلمي والتعليمي، وكانت مراكزا علمية لا تخلو طوال النهار، بل حتى أجزاء من الليل من حلقات الدراسة والتعليم والوعظ، ويذكر أبو زكريا يحي بن علي الشهير بالزواوي أنه ما من ناحية في بجاية إلا فيها مسجد ومعلم. وكان ابن دهاق، يدرس كتاب الطهارة من المدونة بجامع تلمسان.[2]

4/- ضعف الدولة الموحدية وسقوطها:

لقد أجمعت جل المصادر والكتابات التاريخية أن المحرك القوي الذي عجلّ وساهم في تراجع وإسقاط الدولة الموحدية هي حركة بني غانية وقراقوش، ذلك لأن هاتين الحركتين قد أثرتا تأثيرا بالغا في مجرى تاريخ الدولة، فقد عطلت كثيرا من المشاريع كالتعمير والبناء والتوسيع، وأيضا ضم المشرق الإسلامي إلى راية الموحدين، كما أدت إلى إهمال وفقدان عدوة الأندلس وسيطرة الأسبان عليها، لأن الموحدين صرّفوا كل اهتمامهم للقضاء على هذين الحركتين خاصة حركة بني غانية، ومن الآثار التي خلفها زحف بني غانية على مدينة بجاية هي:[3]

- ارتكبوا جرائم في حق القبائل الصنهاجية بغية تحقيق طموحهم في تأسيس دولة تعيد الملثمين المرابطين وتعيد أيضا نفاخر صنهاجة.
- تحالفوا مع الأعراب الهلالية التي ساهمت بقسط وفير في السلب و النهب ونشر الذعر.
- تراجعت أحوال الناس ببجاية، فقد تعطلت وسائل الإنتاج من فلاحة وصنائع وتجارة وارتفعت الأسعار فالسلع قد ارتفع ثمنها لقلتها ما أدى إلى إنتشار الجوع .

فوجود بني غانية ببجاية والأقاليم الموحدية هي بمثابة صاعقة ألحقت أنواع الضرر، وليس فقط حركة بني غانية وقراقوش الذي أراد أن يأخذ نصيبا من الغرب ليجعله قاعدة له تجاوز مصر والمشرق فقط كانتا سببا في سقوط الدولة.[4] بل موقعه العقاب التي هزم فيها الموحدون شر هزيمة بالأندلس أمام الأسبان كانت المؤشر الذي سرع نحو السقوط.

آخر تمرّد أنهك قوى الموحدين، وهو تمرد" **محمد بن عبد الكريم** "أحد كبار قادة الجيوش الموحدية، بالمهية وتعتبر حركة أولى لقائد موحدي ضد الدولة وما دفعه لهذا هو سوء معاملة والي تونس له، خاصة أن هذا القائد انتصر في العديد من المعارك وخارت عليه نفسه فقرر الإنتقام فحاصر هو وجنده المهدية وسيطروا عليها وأخذوا إثني عشرة ألف دينار فدية مقابل إطلاق سراح حاكم مهدية.[5]

1- الغبريني أبو عباس أحمد، المصدر السابق، ص127.
2- المصدر نفسه، ص128.
3- بوتشيش أمنة، المرجع السابق، ص38
4- عقلية الغناي ، سقوط دولة الموحدين، ط1، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، (1988-2008م) ، ص232.
5- عبد الرحمن بن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ج 6، دار الكتابي اللبناني ، بيروت لبنان، 1981م، ص517.

خلاصة:

لقد شهدت مدن وحواضر الدولة الموحدية فوضى واضطرابا في آخر محطاتها التاريخية لاسيما إبان فترة حكم آخر خلفائها، حيث تناحر بنو عبد المؤمن من اجل الخلافة حتى وصلت بينهم إلى الحروب والإستاعنة بالعدو والكافر والأسبان إنتهى الأمر بنشوب ثوارت و إنقسامات مما أدى إلى إضعاف دولتهم أكثر وأكثر، وقتل آخر خلفاء الدولة الموحدية وهو" الخليفة أبو دبوس "وبذلك تنقرض دولة الموحدين وكانت مدة حكمهم من أول ظهورها إلى غاية مقتل" أبي دبوس"، وانقسمت في الأخير الدولة إلى ثلاث ولايات دولة بني مرين بالمغرب الأقصى، ودولة بني عبد الواد "الزيانيين" بالمغرب الأوسط ودولة الحفصيين بالمغرب الادنى تونس.

الفصل الأول

الغزو الإسباني وبداية الوجود العثماني بالجزائر

المبحث الأول: دوافع الاحتلال الإسباني للجزائر

المطلب الاول: الدوافع الدينية

المطلب الثاني: الدوافع الاستراتيجية والعسكرية

المطلب الثالث: الدوافع الاقتصادية

المبحث الثاني: بداية الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية

المطلب الأول: احتلال منطقة المرسى الكبير (1505م)

المطلب الثاني: احتلال مدينة وهران (1509م)

المطلب الثالث: احتلال مدينة بجاية (1510م)

المبحث الثالث : بداية التواجد العثماني في سواحل شمال إفريقيا

المطلب الأول: ظهور الإخوة بربروس

المطلب الثاني: جهود عروج في مواجهة الإسبان

المطلب الثالث: بوادر ميلاد إيالة الجزائر

تمهيد:

في سنة (1492م) تاريخ سقوط غرناطة، رأت السواحل المغاربية عموما والجزائر خصوصا، توافد مسلمي الإسبان الفارين من جحيم اسبانيا، ليبدأ عهدًا جديدًا من المواجهات بين القوى الإسلامية والقوى الإسبانية، حيث وجهت اسبانيا مدافعها نحو سواحل الجزائر التي كانت محل أطماع إسبانيا، بداية بسواحل المرسى الكبير (1505م) ومرورا بغزو وهران (1509م)، وتليها بجاية (1510م)، ثم تتالى سقوط المدن الواحدة تلو الأخرى[1].

حيث واجهوا أهالي الجزائر مقاومات شديدة ضد هذا الغزو، لكن دون جدى وفشلوا في صدها، بسبب اختلاف ميزان القوى وما يتمتع به الغزو الإسباني من قدرات وإمكانيات، وفي ظل هذه الظروف الصعبة وطلب أهالي الجزائر مساعدة العثمانيين، حيث ارتبط مجيء العثمانيين للجزائر بعوامل سياسية ودينية، ولم يكن القدوم العثماني إلى الجزائر بدافع الاحتلال أو السيطرة على المنطقة، بل كان تدخلاً مشروعاً، بموافقة أهالي الجزائر وعلمائها أنفسهم.

[1]- خديجة دوبالي، الغزو الاسباني على السواحل الجزائرية، (1505-1511م)، مجلة القرطاس، العدد السادس، جوان 2017، ص26.

المبحث الأول: . دوافع الاحتلال الإسباني للجزائر

لقد ركزت أطماع الاحتلال الاسباني على المدن الساحلية الجزائية رغبة منها في تحقيق أهدافها، من ضمنها محاربة الإسلام أينما كان، وكذلك استغلال الثروات التي كانت تسخر بها هذه المدن حتى تكون دعما للاقتصاد الإسباني الذي عرف تدهورا كبيرا بعد هجرة الأندلسيين الذين كانوا ركيزة أساسية في التنمية الاقتصادية في كافة المجالات، حيث تشتمل على عدة دوافع وأسباب من بينها الدوافع الدينية، وعلى هذا سنحاول أن نوضح أهم دوافع وأسباب التحرشات الإسبانية على السواحل والمدن الجزائرية.

المطلب الأول: الدوافع الدينية

بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، ألهب انتصار الإسبانيين وحفزهم على محاربة الإسلام أينما كان و خاصة في أراضيهم إن هذا الإصرار وهذه الملاحقة وهذا العنف في محاربة أعداء الدين في نظرهم من مميزات إسبانيا التي جندت خلال قرنين من الزمن وباسم الوحدانية وصفاء الدين والملك الكاثوليكي وقد فرض هذا الإيمان والتمسك أشدّ الواجبات على المواطنين للعمل على خلق العالم الجديد للإنجيل والدين المسيحي، باعتبار أن وحدة الدين هي الدعامة الراسخة للمجتمع .[1]

كما أن ملكة إسبانيا "إيزابيلا" عند موتها تركت وصية لابنتها وزوجها[2]، تأمرهما بأن يحققوا الوصية الغالية على قلبها التي تود لو أنها حققتها بنفسها، ألا وهي غزو إفريقيا، وعدم الكف عن قتال في سبيل الديني المسيحي ضد الكفار.[3]

أقيمت مراسيم بابوية برعاية البابا "ألكسندر السادس" يحث فيها على مواصلة الحروب الصليبية ضد إفريقيا وأقر ما كان يتقاضاه الحكام الإسبانيين من ضرائب مخصصة للجهد الحربي، مثل "ضريبة الصليب"، وعلى هذا أصبحت إسبانيا تؤمن بأن من واجبها تطهير أرضها من المسلمين ،والإسلام والتي أصبحت تخشى منه ومن شبحه، التي دفعت إسبانيا في محاولة تنصير المسلمين بحيث أصبحوا مقيدين في كلامهم ومأكلهم ومشربهم، وتعليمهم وعملهم، بحيث منعوا من الحديث باللغة العربية، اللباس العربي، وأجبروا على حمل إشارة زرقاء في قبعتهم.[4]

كما أن التعصب الديني والرغبة الجامحة في تنصير المسلمين أواخر القرن 15، وطوال القرن 16 أدى إلى التدخل في البلاد الإسلامية بالشمال الإفريقي، وهذا ما اكده أحمد توفيق المدني في كتابه "حرب ثلاثمئة سنة".

[1] - عبد الجليل التميمي، الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية الموريسكين، العدد10، تونس، 1987، ص68.
[2] - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من قبل ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار هومة، عنابة، 2005، ص100.
[3] - جلال يحي، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ج4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د.ت)، ص 64.
[4] - جمال يحياوي، سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين (1492-1610م)، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2005، ص 72.

حيث يظهر هذا خلال الحروب التي أخذت صبغة صليبية حقيقية نظرا للدور الممتاز الذي قام بأدائه رجال الكنيسة باعتبار المعركة معركة خاصة بهم في حمل المسلمين قسرا على اعتناق المسيحية، وهذا ما دفع كردينال "خيمينس" على تنفيذ الوصية، فقد قتل 4000 وأسر 8000 من المسلمين وحول المساجد إلى كنائس.[1]

المطلب الثاني: الدوافع الاستراتيجية والعسكرية

يعد البحر الأبيض المتوسط[2] ذو أهمية كبيرة، يتميز عن باقي المحيطات والبحار ، كما أنه حلقة وصل وحقل ثروات وموارد، فهو يقع في ملتقى ثلاث قرات كبيرة هي آسيا إفريقيا وأوروبا، وكان منذ القديم مركزا للحضارات منذ الحضارة الفرعونية إلى الحضارة الإسلامية فالأوروبية المعاصرة، كما أنه كان ميدانا للصراع منذ أقدم الأزمنة حتى يومنا هذا.[3]

ففي شواطئه وقعت المعركة الشهيرة "سلامين" بين الإغريق والفرس، ثم تلتها معركة "أكسيوم" بين أكتافيوس وكليوبترا في بداية العصور الحديثة كانت معركة "ليبانت" سنة 1571م بين الإسبانيين والعثمانيين[4].

ومن خلال هذه الخصائص والمميزات التي يتمتع بها البحر الأبيض المتوسط جعلت كل من إسبانيا والدولة العثمانية تطمع في احتلاله واستغلاله، وعلى هذا سعى الملوك الإسبان إلى احتلال المغرب الأوسط، وكذا بقية بلاد المغرب حتى يتمكنوا من فرض هيمنتهم على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، والتحكم في مدخله المتصل بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق الذي بدأوا الإبحار فيه نحو العالم الجديد ضرورة اقتصادية تسعى للهيمنة عليه.[5]

ومن الناحية العسكرية نجد إسبانيا تطمح للتوسع والنفوذ في مناطق واسعة من العالم، ففي الوقت الذي كانت فيه الخلافة العثمانية في أعلى مراحل ،قوتها وكانت في عهد الفتوحات وبسط النفوذ، حيث استطاعت، ضم سوريا ومصر وفارس وشمال إفريقيا، وغيرها من الدول الأوروبية، كما كانت إسبانيا هي الأخرى في قمة مجدها بحيث فرضت سيطرتها على شبه جزيرة ايبيريا ثم وجهت أنظارها إلى الشواطئ الجنوبية والشرقية والغربية في محاولة لبسط نفوذها هناك .[6]

---

[1] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص180.
[2]- أنظر الملحق رقم (02)، ص59.
[3] - حكمت ياسين، الغزو الإسباني في القرن السادس عشر أسبابه ومراحله ونتائجه، الأصالة، العدد 14، 2011، ص242.
[4] - المرجع نفسه، ص 243.
[5] - عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505-1792م)، دار هومة ، الجزائر، 2012، ص33.
[6] - حكمت ياسين، المرجع السابق، ص 243.

حيث أقامت إسبانيا قواعد عسكرية أمامية على السواحل الجزائرية، وفي بقية بلدان المغرب الكبير، تحول دون الاتصال بين جزائريين وبقايا مسلمي الأندلس دون حصول هؤلاء على أية مساعدة من إخوانهم مسلمي الجزائر، وتجعل الغزو البحري انطلاقا من الشواطئ الجزائرية إلى الشواطئ الإسبانية غير ممكن، وبذلك يصنعون حدا للأضرار التي كان يلحقها غزاة الجزائر بشواطئهم، ويؤمنون خطوط مواصلاتهم الهامة بين إسبانيا إيطاليا، ويتخذون من تلك القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية مستغلين بذلك الأوضاع السيئة فيها .[1]

المطلب الثالث: الدوافع الاقتصادية

لقد أدت الحروب الصليبية إلى ظهور مستودعات تجارية أسهمت في تطور الحركة التجارية في العالم، فترتب عن هذه الحركة التجارية التي امتدت إلى أقصى الشرق زيادة المعرفة الجغرافية،[2] حيث ظهرت النزعة الاستعمارية التوسعية لدى دول أوربا، من بينهم إسبانيا والبرتغال اللتين كانتا تمثلان القوى التقليدية العظمى آنذاك، وهذا لفرض سلطانها المالي والتجاري على العالم، ساعدهما في ذلك حركة الكشوفات الجغرافية التي أطلقاها إثر سقوط غرناطة سنة 1492م[3] .

إضافة إلى سيطرة العرب على تجارة التوابل، فكان من الطبيعي أن تكون إفريقيا هي المستهدف الأول نظراً لعامل القرب الجغرافي، يضاف إليه هجرة المسلمين الأندلسيين إلى سواحل المغرب الإسلامي وهي النقطة التي أفاضت الكأس، حيث وجدت إسبانيا في ملاحقتهم ما يبرر وجودها في هذه الناحية خاصة وأن شبه الجزيرة الأيبيرية بعد حركة الكشوفات الجغرافية أصبحت بحاجة ماسة إلى أسواق لتصدير الفائض من الإنتاج، فوجهت هذه الحركة الاستعمارية ضد العرب المسلمين للقضاء على تجارتهم الواسعة فيما وراء البحار، خاصة تجارة التوابل في بلاد الهند، وتعززت هذه الهجمة الاستعمارية بانعقاد مؤتمر "توردي سيلاس" 1494م الذي أطلق أيادي الإسبان والبرتغاليين على أراضي المغرب الإسلامي.[4]

كما أن الوضع الاقتصادي لإسبانيا في نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م كان يعيش انهياراً اقتصادياً، وهذا بسبب فقدانها لتلك الطاقات الحيوية النشيطة من مسلمي الأندلس واليهود الذين أبعدتهم فشعرت بفراغ مسها في جميع المجالات حتى أصبحت حياتهم حياة كسل وخمول فانحطت الأخلاق، وبارت الأرض، واندثر العمران، وكسدت التجارة وأصاب

---

[1] - عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص18.
[2] - علي محمد الصلابي، دولة السلاجقة، ط 1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص429.
[3] - وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق وتقديم، عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص27.
[4] - عبد القادر فكاير، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية: دورية كان التاريخية، ع 18، ديسمبر 2012، ص25.

إسبانيا انهيار اقتصادي.[1] فكان عليها أن تحتل السواحل المغربية لتدر خيرات المغرب الإسلامي على سواد شعبها خاصة وأن هذه المنطقة تحظى بموقع استراتيجي مكنها من الارتباط تجارياً مع إفريقيا الوسطى، وأن احتلالها يعني القضاء على حركة القرصنة الإسلامية التي كانت تغزو السواحل الأيبيرية آنذاك.

ومن خلال هذه المعطيات، بينت لنا أن جميع هذه والمتمثلة في دوافع دينية واستراتيجية عسكرية وكذلك اقتصادية دفعت إسبانيا إلى احتلال سواحل شمال البحر الأبيض المتوسط .

المبحث الثاني : بداية الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية

لقد استعملت القواة الإسبانية كل الوسائل والسبل سواء بقوة السلاح أو التهديد، بغية تجسيد مشروعها الصليبي على الأراضي الجزائرية، لتسهيل عملية الوصول إلى مبتغاها، ومن ضمن هذه المدن التي تعرضت لقوة السلاح، مدينة مرسى الكبيرة، وهران، وكذلك بجاية، إضافة إلى عدة مناطق اخرى.

المطلب الأول: احتلال منطقة المرسى الكبير (1505م)

في (29 أوت 1505م) غادر الأسطول الإسباني مدينة "مالقة" تحت قيادة "دون رايمون دي قرطبة"، متجها لغزو المرسى الكبير، وهذا عندما أتم الملك الإسباني "فردينا ند" تجهيزات الحملة[2]، وكان الأسطول ينقل معه قوة من الجيش تقدر بحوالي خمسة آلاف رجل، وصل الأسطول إلى المرسى الكبير في 11 سبتمبر، بعد أن اعترضته رياح معاكسة، وكان هذا التأخر في صالح الإسبان لأن جماعة المسلمين الذين جاءوا تلبية لنداء الجهاد، تفرقوا بعد أن طال انتظارهم تاركين عدد قليلا من أجل المراقبة والاستطلاع،[3]

وحين بدأ الإسبانيين عملية الإنزال قاوم المسلمون مقاومة قاسة وعنيفة، إلا أن المدفعية الإسبانية قد اضطرتهم لترك مراكز الدفاع والانسحاب للداخل، وبسبب اختلال موازين القوى بين الطرفين بعد مقتل قائد الحامية أثناء الليل تشاور سكان المدينة فيما بينهم في اجتماع عقدوهم في دار المزوار ، وكانت أغلبية تميل إلى متابعة الجهاد في حين كانت الأقلية ترغب في الاستسلام وحجتها أنه من المحال على الحامية التي لا تزيد في الأصل عن خمسمائة رجل التغلب على قوة مشكلة من خمسة آلاف مقاتل إسباني[4]، وهذا ما أدى بالحامية إلى الاستسلام بعد خمسين يوما. [5]

---

[1] - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص89.
[2] - أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، (تح): المهدي بوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973 ، ص11.
[3] - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1519-1830م)، دار الهومة، الجزائر، 2007، ص 28.
[4] - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص87.
[5] - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت)، ص23.

وفي النهاية تم مفاوضة الإسبان على تسليم المدينة، بشروط تتضمن انسحاب المسلمين من المدينة والحصون الموجودة بها، في أجل أقصاه ثلاث ساعات دون أخذ أسلحة ولا حتى شيء من زاد والمؤونة، وعندما تم الانسحاب اقتحم الإسبان المدينة في 25 أكتوبر 1505م،[1] ورفعوا فوقها أعلامهم، وحول مسجدها إلى كنيسة أطلق عليها اسم ميكائيل، وأقاموا بها أول قداس لهم وحرروا 35 أسير الذين أسروا على ساحل الحملة قبل ثلاث سنوات[2]، وبمجرد تمركز الإسبان بالمرسى الكبير فتحوا سوق تجاري إلى جانب المدينة، من أجل تزويد حامياتها مما يلزمها من مواد غذائية مقابل ما عند الإسبان من ذهب وفضة، وهكذا منذ الوهلة الأولى ظهر التعاون مع العدو.

اتجهت أنظار الإسبان لاحتلال قرية مسرغين، حيث أسندت قيادتها إلى "دون ديغو" من أجل الاستلاء عليها وسد حاجيات الجيش الذي أوتوا به، لكنهم فوجئوا بأهالي القرية والمدافعين عنها يقفون في وجه الجيش بصلابة، وأتاح صمود سكانها الفرصة لوصول نجداتها التي تدفقت عن القرى المجاورة، ومن وهران ذاتها ودارت دائرة على الجيش الإسباني، فقتل منه حولي ثلاث آلاف جندي وفر الباقون إلى المرسى الكبير للاعتصام بأسوارها المنيعة، وعلى إثر هذه العزيمة اعتصم الإسبان بالمرسى الكبير حوالي عامين ضمدوا فيها جراحهم ، حيث استعد كاردينال خيمينس، للهجوم على وهران وكان يرغب أن يقودها بنفسه وتم له ما أراد في (20 أوت 1508م).[3]

المطلب الثاني: احتلال مدينة وهران (1509م)

في سنة 1508م، بدأت تجهيزات كبيرة للقضاء على المسلمين في وهران، قام بها كاردينال خمينيس أسقف طليطلة، ومن أسباب عودة الاحتلال الاسباني لها، ترجع للحملات الصليبية التي كانت تقوم بها السفن الإسلامية ضد السواحل الإسبانية، من أجل تحرير المهاجرين الأندلسيين من الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل رجال الكنيسة بعد سقوط غرناطة، بحيث كان لهم تأثير كبير على البلاط الإسباني منذ حكم فرديناند الكاثوليكي وإزبيلا.[4]

لكن لأبو راس الناصري رأي آخر حيث يرجع ذلك، إلى دعاء الشيخ الهواري[5]، لما قتل بنو زيان ولدا وحضره لهذه الدعوة سيد علي الأصفر التلمساني وأنذرهم تلميذهم ابراهيم التازي بقصيدة ما انضم إلى ذلك سيد احمد بن يوسف أحد أولياء الكبار والأتقياء الأخيار الهواري، ذهب مرة إلى وهران فعظمه أهلها أشد تعظيم، فكتب قائدها للأمير الزياني أن

[1] - مرمول كربخال، إفريقيا، (تر): محمد حاجي وآخرون، ج 3، دار النشر والمعرفة، الرباط، 1989، ص328.
[2] - حي بوعزيز، وهران، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص65.
[3] - مبارك الميلي، المرجع السابق، ص26.
[4] - مختار حساني، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، الجزائر، 2003، ص10.
[5] - أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، (تح): بوركبة محمد، ج 1، تلمسان، 2011، ص200.

رجلا بأرض هوارة يخشى منه الملك فكتب الأمير إلى القائد "ابعثه إلي أو أقتله"، فلما أتى الشيخ أهله برأس الماء بعث العاهل لأمير هوارة أحمد بن غانم فارتحل الشيخ عن وطنه وقال" شوشهم الله في البر والبحر"، فلم يكن إلا قليل حتى شوش الله بني زيان في البحر بكفرة أخذوا وهران، ومن البر بالأتراك أخذو تلمسان.[1]

أبحر الجيش البحري بقيادة من مرسى يوم (19 ماي 1509م) ، على رأس خمسة عشر ألف مقاتل من بينهم عدد من نبلاء قشتالة الذين نزلوا في المرسى الكبير ثم زحفوا إلى وهران، بعدما هيأ حاكم المرسى كل الوسائل والأسباب من أجل النصر السريع وانضم رجال الأسطول إلى الجيش[2]، ورغم الاستعدادات لحاميات وهران واصطدامهم بالقوات الإسبانية خارج المدينة، إلا أن تفوق الإسبانيين بالأسلحة النارية أرغمهم على العودة إلى المدينة للاحتماء بها وبحصونها وأسوارها، وبينما كان المسلمون على الأسوار، لجأ عملاء إسبانيا الذين دخلوا وهران منذ مدة يوزعون شكوك البلبلة ويضرمون النار في أماكن مختلفة لإيهام الناس أن العدو موجود في المدينة ولا أمل في مقاومته.[3]

كما استعانة الإسبان بالسطورة ، المكاس اليهودي الإشبيلي وبعض أعوانه، الذين ساعدوا في إدخال الجيش النصارى للمدينة سرا وقاموا بفتحها، وتكبد المسلمين اثر هذه المعركة خسائر قدرت ب 4 آلاف مسلم وأسر حوالي 8 آلاف الذين تم ارسالهم إلى إسبانيا، وأسالوا دماء أنهارا حتى احمرت مياه البحر.[4]

كذلك تم تحويل كل مساجد المدينة إلى كنائس من باب التعصب الديني، من بينها "مسجد البيطار" وأنشأ معاقل وحصون وصوامع جديدة للدفاع ضد الأهالي، ونهب كل ما وجده في المدينة من تحف ونفائس كالكتب وقناديل وشحنها إلى إسبانيا ، وحرر بوهران ثلاثمائة أسير مسيحي وكافأ "سطورة" و "بن "زهوة" وأبقاهما مكاسين على أسواق مدينة وهران، و أوكل إليهما مهمة استخلاص الغرامات من الأهالي،[5] كذلك أقاموا نظاما عسكريا في المستعمرة يكفل لهم مراقبة سفن البحر المتوسط، ثم علموا على محو الإسلام من المنطقة وإحلال المسيحية محله وكانت وهران ذات أهمية حيث اعتبروها باب إسبانيا، ولما دام الإسبان لهم الملك بوهران بنوا بها بناء ضخما به سورا عظيما وزادوا في بناء البرج الأحمر وبرج المرسى بالإضافة إلى عدة الأبراج كبرج مرجاجو ، وبرج رأس العين.[6]

[1] - أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص 152.
[2] - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمئة سنة، المرجع السابق، ص104
[3] - صالح عباد، المرجع السابق، ص 30.
[4] - يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر تاريخ، ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص41.
[5] - أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، (د.ت)، ص 99.
[6] - المرجع نفسه، ص 99.

المطلب الثالث: احتلال مدينة بجاية (1510م)

لقد كانت مدينة بجاية تلفظ أنفاسها الأخيرة مثلها مثل دولة بني زيان من جراء الصراع على العرش الذي كان جا يرا بين الأمير عبد الرحمن الحفصي وابن أخيه عبد الله، حيث لم يكن الاسبان غافلين عما يحدث في القصر من نزاع، فكانت الفرصة لاحتلال المدينة وهكذا ما ان ثبتوا أقدامهم في وهران حتى شرعوا يعدون لحملة لاحتلال بجاية .[1]

وبأمر من الكاردينال خمينيس وبدعم من الملك فرديناند الكاثوليكي، توجه بيدرو نافارو إلى بجاية سنة 1510م،[2] اقلع أسطوله حيث يشمل ثلاثون سفينة كبيرة تحمل على متنها عشرة آلاف رجل من صفوة الجيش تعززهم مدفعية ضخمة وآلات عديدة وسلاح وفير وكانوا أمام مدينة بجاية يوم 5 جانفي وعلى الرغم من أن الحملة كانت مفاجئة للسكان، إلا أفهم استجعوا قواهم وقرروا مواجهة الإسبان مهما كانت الظروف[3].

فتحصنت فرقة منهم المرتفعات المحيطة لمنع الاسبان من النزول الى البر واخذت مدافع بجاية و المدافع الاسبانية تتبادلان النيران، لكن الفرق كان كبيرا جدا بين فعالية المدفعيتين.[4]

مثل الاسبان قوة النامية تحت قيادة موحدة بينما كانت قوات بجاية تحت قيادة منهارة لا هم لهم سوى البقاء على العرش ولذلك لم يمضي سوى وقت قصير حتى تمكن الاسبان من انزال قواتهم الى البر،[5] وكانت أولى أعمال الاسبان بناء قلعة قرب البحر وإصلاح حصن قديم يطل على البحر قرب مخازن السلاح، كما قاموا بإطلاق سراح عبد الله وتنصيبه على رأس المدينة ، يضاف اليها عنف الهجومات الاسبانية والمعاملة القاسية للاهالي التي أحدثت موجة من الرعب والخوف على طول الساحل الجزائري[6]، لأن السكان كانوا يظنون انهم سينسحبون بعد نهب المدينة لهذا فرو الى الجبال ولم يدافعوا، خلفت المعركة عن 4100 قتيل، كما قاموا بنهب المدينة ونقل كنوزها الى اسبانيا في 30 سفينة، وبعد ان ثبت الاسبان اقدامهم في بجاية سمحو للأهالي بالعودة الى منازلهم.[7]

[1]- محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543م)، دار الأصالة للنسر والتوزيع، ط1، 2012،ص105.
[2]- مارمول كربخال: افريقيا، (تر) محمد الحجي وآخرون، دار النشر المعرفة لنشر والتوزيع، ج2، الرباط، 1989، ص377.
[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص120.
[4]- بن قومار ثريا، الدخول العثماني للجزائر والمواقف المحلية 1514-1600م، مذكرة مكملة لإستكمال متطلبات شهادة الماستر في تاريخ تخصص المغرب العربي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية ، 2020-2021، ص16.
[5]- محمد دراج المرجع السابق، ص105.
[6]- نحوى بلخير ، الحملة الاسبانية على بجاية وردود أفعال الأهالي والأتراك (1510-1555م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، في التاريخ الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019، ص44.
[7]- المجع نفسه، ص45.

المبحث الثالث : بدايـة التواجد العثماني في سواحل شمال إفريقيا

بسـبب الظـروف الصـعبة التـي كانـت تمـر بهـا الجزائـر ، وتفـاقم الخطـر الإسـباني واحتلالها للموانئ الجزائرية وفرض الجزية على سكان هذه المدن الساحلية، هي العوامل الرئيسية التي دفعت بالجزائريين أن يستنجدوا بالأخوين عروج وخير الدين، لإنقاذهم من الاحتلال الأوروبي لمدنهم، وذلك بالالتجاء إلى الخلافة العثمانية القادرة على تزويد المحاربين الجزائريين بالذخيرة، والرجال الذين يمكنهم من صد هجمات الأوروبيين.[1]

حيث دخل العثمانيين الجزائر في فترة حرجة كان فيها مسلموا الجزائر منقسمين إلى أحزاب وشيع وممالك، وكان الإسبان يستغلون مدى ضعف المسلمين وتفرقهم وتنافسهم وهذا ما ساهم في زيادة ،توسعهم، وبفضل تلك المساعدات التي قدمها الإخوة لمدينة الجزائر، شعر أبنائها بدرجة عالية من الاطمئنان في ظل هذه الدولة القوية، وانطلاقا من هذه الحقائق فإن العثمانيين يعتبرون منقذون وليسوا مستعمرين.[2]

المطلب الأول: ظهور الإخوة بربروس

يعود أصل "إسحاق وعروج وخير الدين وإلياس والأبناء الأربعة" أصل تركي بإقليم روميلي[3]، اسمه يوسف يعقوب كان يقطن بجزيرة ميدلي في الأرخبيل اليوناني كان يحترف في صناعة الفخار وهو من أحد الجند الذين صحبوا الجيش الفتح ، كان متزوجا من سيدة أندلسية . [4]

"عروج" ولد في 1473م و "خير الدين" في العام الموالي، كان خير الدين يبيعان الفخار لأبيهما في الجزائر اليونانية بواسطة بعض المراكب ، بحيث كان عروج من هواة الحياة البحرية، فغادر ميدلي مع أخوه إلياس متجهين إلى طرابلس، وفي الطريق تصادفا مع سفن فرسان جزيرة رودس ووقعت معركة كبيرة وسقط إلياس شهيدا ، بينما أسر عروج واستولى الكفار على السفن . [5]

لقد حاول خير الدين فك أسره ودفع ضريبة قدرت بألف دوقة ذهبية بمساعدة أحد النصارى غير أنه فشل، وبيع عبدا لشخص من جزيرة رودس، وفي هذه الأثناء توجه إلى مصر كمجذف في سفينة تحمل الأسرى المسلمين فاغتنم فرصة حدوث زوبعة بحرية فقفز من المركب و انتهى به المطاف إلى أضاليا بإمارة قرمان تعرف عن أمير قرقود شقيق

---

[1] - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1977، ص51.
[2] - أحمد بوشاقور، تاريخ مدينة الجزائر من العهد القديم إلى 1964 ، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ص39.
[3] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ، ج 2،ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009، الجزائر،
[4] - علي حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 162.
[5] - وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، (تر) عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص38.

السلطان سليم، فأكرم مأواه ولما لاحظ عليه سمات البطولة جهز سفينة في البحر المتوسط الشرقي ضد القراصنة.[1]

لذا كرس نفسه للجهاد ضد القرصنة الأوربية، فنزل هو وأخوه خير الدين وسيطرا على البحر الأبيض المتوسط وأقام دولة في شمال إفريقيا[2]، وبفضل الشجاعة التي تميز بها ضم العديد من الأشخاص وأصبحوا يمثلون قوة[3] ، وعملا على ربط صلتهما بالسلطان سليم الأول ودخلا في سلطة الدولة العثمانية فأمدهما الملك بالمراكب والسلاح وأذن لهما في ارتياد الحوض الغربي للبحر المتوسط لمقاومة أساطيل القراصنة الأوروبيين واعتداءاتهم المتكررة.

اشتهر عروج يومئذ بلقب بربروس ثم أخاه بعده ببربروس الثاني، ثم اتصل بالسلطان الحفصي أبي عبد الله محمد السادس ونزلا بمدينة جربا ثم بحلق الوادي واتخذ منه قاعدة لمحاربة المسيحيين وتجنيد المتطوعين من الديار الإسلامية إلى الموانئ الإفريقية لمقاومة الإسبان.[4]

المطلب الثاني: جهود عروج في مواجهة الإسبان

اتجه عروج وأخويه إلى غربي البحر الأبيض المتوسط سنة 1504م، وكانت تحدوه روح الانتقام الشخصي من المسيحيين وقد أعطاه السلطان الحفصي في تونس حكم جربة واتفق معه على تقاسم الغنائم وإعطائه الخمس[5]، واتخذ من ميناء حلق الواد مخبأ أمينا له ومن تلك القاعدة قام عروج بسلسلة من الحملات التي تمكن من خلالها من نقل العديد من مضطهدي الأندلس إلى شمال إفريقيا ، كما تمكن بفضل هذه الأعمال من اكتساب شهرة واسعة بين الشرق والغرب.[6]

كذلك سنة 1512م حيث اتجه عروج وإخوته إلى بجاية لاستخلاصها من الإسبان تلبية لنداء أهلها وسلطانها الحفصي أبي بكر، وكان يحمل 12 قطعة بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة وألف تركي وبعض الأهالي أما الأسطول الإسباني فكان مكونا من 15 سفينة ، ولم ينجح عروج وإخوته من مهمتهم لأن الحصون الإسبانية كانت قوية وطبيعة المدينة الجغرافية كانت صعبة إضافة إلى ذلك كثافة عدد القوات الإسبانية المدافعة [7]، وقدر عدد القتلى ب 60 رجل وكان عدد الجرحى كبير وأصيب عروج بقذيفة في ذراعه وأدت تلك الجروح البليغة إلى قطع ذراعه.

[1] - مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، (تر) محمد دراج، شركة الأصالة، الجزائر، ط1، 2010، ص22.

[2] - أنظر الملحق رقم (03)، ص 61.

[3] - Haedo Fray Diego de, histoire de rois d'alger traduite et annotée par h.d de grammont adolph, joudan, paris, 1881,pp42-43

[4] - وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 28.

[5] - أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية من نشأتها من نهاية العصر الذهبي، إيتراك، القاهرة، 2005، ص20.

[6] - أحمد بن أبي ضياف، أتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، 1962، ص10.

[7] - يحي بوعزيز، العلاقات الخارجية مع دول المماليك أوروبا (1500-1830)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص35.

لقد أدرك عروج بأن فتح بجاية تحتاج إلى خطة محكمة، كما رأى أن أحسن قاعدة له هي مدينة جيجل ، التي كان يحتلها الجنوبيين ويمارسون فيها صيد المرجان فشن عليها حملة وتمكن منها وانتزعها من الجنوبيين عام (920هـ /1514م) وأسر منها 100 جندي جنوبي ، واتخذوا منها مركزا لأسطولهم البحري بدلا من جربة وتخلو من ضغوطات الأمير الحفصي هنا يبدوا السلطات الحفصي تخوف من الإخوة بربروس ورفض لهم السماح بالبقاء في مينائه، كما رفض تزويدهم بالبارود وهذا بعد أن أصبحت أسماءهم منتشرة في جميع البحر الأبيض المتوسط.[1]

أرسل عروج واخوته إلى السلطان سليم الأول مجموعة من النفائس التي استولوا عليها بعد فتح مدينة جيجل، فقبلها السلطان ورد لهما المدينة بإرسال أربعة عشر سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود.[2]

لقد حاول عروج من جديد تحرير بجاية سنة 1515م، من خلال مساعدة القبائل الجبلية، حيث نجح في الاستلاء على أحد القلعتين التي بناها الإسبان وحاصر بجاية والقلعة الثانية، لكن لم يوفق في تحريرها لأن تلك القبائل انصرفت بدون استئذانه لزرع الحقول وتبعها عدد كبير من الجنود الاتراك فاضطر عروج إلى الفرار وإحراق 12 سفينة ضخمة كانت راسية في النهر ثم انسحب إلى جيجل.[3]

المطلب الثالث: بوادر ميلاد إيالة الجزائر

سنة 1516م، طلبوا الجزائريين من بربروس أن يكون لهم قائدا، كما أرادوا أن يفسخوا الهدنة ويتخلصوا من الضرائب التي كانوا يؤدونها لإسبانيا.[4]

عارض "سالم التومي" في بداية الأمر الاستنجاد به لأنه كان يعرف أن ذلك يعني نهاية حكمه لكنه أضطر إلى القبول في نهاية الأمر تحت ضغط الرأي العام تم استدعاؤهم عن طريق وفد مبعوث إليهم للقدوم إلى مدينة الجزائر ليحررهم من قلعة البنيون ، لبى عروج النداء ووصل إلى مدينة الجزائر أواسط سنة 1516م عن طريق البحر حاملا معه سفينتين تحملان 100 تركي وهي أول شحنة تركية تدخل الجزائر كما طلب من أخيه خير الدين أن يلتحق به بمدينة الجزائر وقد زوده هذا الأخير ب 280 تركيا ومعدات حربية حديثة وسفن أخرى تحت قيادة أخيهما إسحاق، كما تلقى عروج الدعم من ابن القاضي المدعو بقطوش شيخ كوكو بالقبائل الكبرى.[5]

---

[1] - يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1 ، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص149.
[2] - عيسى لحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى الدولة العثمانية، ط1، الأهلية للنشر، الأردن، 2011، ص510.
[3] - حسن الوزان، وصف إفريقيا،(تر) : محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص38.
[4] - عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 162.
[5] - المرجع نفسه، ص 164.

توجه عروج سنة 1916م إلى مدينة شرشال واحتلها عن طريق البر، كما تخلص من منافسه "قارة حسن" الذي كان يشتغل مثله بالجهاد البحري، فقتل ونصب حامية على البلدة ثم دخل مدينة الجزائر ومعه 800 جندي تركي إلى مدينة الجزائر.[1]

رفع عروج الحصون وحفر الخنادق وتركيب المدافع وأخذ يقنبل الحصن والصخرة في 12 أوت 1518م وشدد الحصار على الحصن وقطع عنه المياه، فاضطر قائد الحصن إلى الذهاب إلى جزيرة مايوركا وقطع مسافة تزيد عن 200 كلم لتزويد حميته بالماء والمؤن، لكن المؤن كانت قليلة وازداد الجوع والعطش بحوالي المائتين من الإسبان الذين كانوا من حراس حصن الصخرة .[2]

دبر "سالم التومي" مؤامرة ضد الأتراك وحاول الانقلاب عن عروج، لكنه تفطن عروج لهذه المؤامرة وقضى عليها في المهد ، وقتل سالم التومي بيده داخل حمام منزله وأعلن نفسه سلطان على مدينة الجزائر وفرض إجراءات أمنية مشددة وخيم السكون والصمود على مختلف المناطق ونواحيها[3] ، كما أمر بسك العملة وتحصين القصبة ونصب فيها مدفعية صغيرة ووضع عليها حامية تركية.

بدأ الإسبان بالتخوف من المد التركي العثماني على المدن والسواحل الجزائرية وحاولوا منذ البداية أن يقضوا عليه ولكن دون جدوى، وفي سبتمبر 1516م قاد "دييقو دوفير" حملة عسكرية بحرية كبيرة تتألف من 35 مركبا و 8000 رجل واتجه إلى مدينة الجزائر ونزل بساحل باب الواد ، وتعرض لهزيمة ساحقة غرق له أكثر من نصف المراكب الحملة، وقتل 3000 جندي وأسر 400 و تعاونت قساوة الطبيعة مع بطولة المدافعين الجزائريين [4].

سارع سكان بليدة والمدية ومليانة وما حولها إلى مبايعة عروج والخضوع له كما اعترفت بسيادته بلاد القبائل وبذلك صار لإمارة الجزائر شأن عظيم ، كما قرر عروج اخضاع مدينة تنس نظرا لتواطؤ أميرها الزياني متعاون مع الإسبان فاتجه إليها على رأس قوة كبيرة 1000 تركي وفرقة من المجاهدين واقتحمها في شهر جوان 1817 واستولى عليها وقتل أميرها وطرد الإسبان منها ، وقسم المملكة الجديدة إداريا إلى مقاطعتين مقاطعة شرقية يشرف عليها خير الدين ومقرها الإداري مدينة دلس، ومقاطعة غربية يشرف عليها عروج بنفسه مقرها الإداري مدينة الجزائر العاصمة.[5]

نظم عروج البلاد حسب الحاجة وحسب الامكانيات ، حتى جاءه وفد من أعيان تلمسان يشكو له اضطراب الأحوال السياسية في مدينتهم بسبب نزاع الأمراء الزبانيين ، فبايعوه سلطانا عليهم، فاستجاب عروج لطلبهم، فرح كثيرا لإعلانهم الدخول تحت ولايته دون قتال.[6]

[1] - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ص 48.
[2] - عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص146.
[3] - أحمد سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص17.
[4] - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، المرجع السابق، ص 40.
[5] - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ ، دار الأمة، الجزائر، 2013 ، ص372.
[6] - مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 86.

عبر الهضاب الداخلية اتجه عروج إلى تلمسان وهو يقود قواته بهدف تجنب الاصطدام بالحاميات الإسبانية المنشرة على محيط وهران وعندما وصل إلى هوارة قلعة بني راشد ، اتخذ منها قاعدة لحماية خطوط مواصلاته نظرا لما كان يتوفر لها من المميزات الدفاعية ونظرا لموقعها المناسب، ووضع في القلعة حامية تضم 600 مقاتل بقيادة اسحاق وأمرهم بالتضييق على الإسبان في وهران، وعرقلة أعمالهم وتحركاتهم العسكرية حتى لا يعيقوا سيره نحو تلمسان ،[1] دخل عروج تلمسان والتقى مع أبو حمو الثالث وهزمه وأعاد أميرها الشرعي أبا زيان إلى عرشه وكان هذا الأخير بالتبعية للسلطة الجديدة، غير أفراد الأسرة الزيانية استغلوا عروج إلى الناحية الغربية، فنبذوا الطاعة وأعلنوا العصيان فأمر عروج بقتل أبي زيان وأنصاره يقول أبوا راس الناصري أنه قتل سبعة من المترشحين للملك من بني زيان و نحو ستين من بني عمهم أولاد عبد الواد وأكثر من ألف أهل البلد.[2]

فر الأمير" أبو حموا" إلى مدينة فاس ومنها إلى مدينة وهران يطلب النجدة من حاكمها العام ، فأمده بجيش قواته عشر آلاف رجل مع العتاد وهكذا توجه أبو حو الثالث على رأس قوة من الأعراب ومعه الجيش الإسباني فداهموا قلعة بني راشد واحتلوها وقتلوا الحامية التركية الموجودة هناك وقتل اسحاق في جانفي 1518م ، وواصل الإسبان سيرهم نحو تلمسان وفرضوا عليها حصارا لمدة ستة أشهر ، واستطاع الإسبان فتح ثغرة في السور بالمدفعية وتحولت المقاومة إلى حرب، وانسحب عروج إلى القلعة المشور منتظرا النجدة من السلطان المريني التي لم تصل، وقاوم عروج مع جنوده الأتراك الخمسمائة عازمين على الاستشهاد بدل الاستسلام.[3]

لكن تمكن عروج مع عشر من رجاله مغادرة القلعة عنوة وفتح طريق نحو البحر، لكن الإسبان تفطنوا لخروجه وحاصرته فرقة من الإسبان في زاوية سيدي موسى في منطقة المويلح ، وقاوم عروج إلى أن استشهد مع رجاله الذين كانوا معه استشهد وعمره 44 سنة ، وفصل رأسه عن جسده إذ أخذه الإسبان كتذكار نصر وعرضوه بالموقع العسكري بوهران.[4]

وكان هذا هو يوم استشهاد هذا البطل العظيم والسيف في يده يقاتل بيد واحدة مدافعا عن الإسلام في مواجهة الصليبية الإسبانية والسلاطين الزيانيين العملاء كما يقول شارل أندري جوليان استطاع أن يضع أسس لدولة إسلامية قوية وسط محيط من المنافسات القبلية والإمارات المغربية، دون أن تتمكن أوروبا من النيل منها .[5]

---

[1] - بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980، ص102.

[2] - أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف لأخبار، (تح) محمد غالم، الجزء الثاني، منشورات، (AGP)، 2008، ص334.

[3] - عثمان السعدي، المرجع السابق، ص 375.

[4] - يوسف بنو جيت، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر ميلادي، (تر) محفوظ قداش وسامية سعيد عمار، دار النشر دحلب، الجزائر، 2009، ص 121

[5] - عثمان السعدي، المرجع السابق، ص 375.

خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل، يمكننا القول بأن القواة الإسبانية تمكنت من التمركز في الكثير من المواقع الاستراتيجية التي مكنتها من نفوذها في الجزائر والسيطرة عليها، كذلك تحقيق الزعامة الإقليمية والسيطرة الكلية على البحر الأبيض المتوسط.

حيث وقعت عدة مواجهات ومقاومات أهالي الجزائر ضد الاحتلال الاسباني، لكن هذه المقاومات العنيفة كانت دون جدوى، وهذا راجع إلى ما تتمتع به القواة الإسبانية من إمكانيات وقدرات، ومن خلال كل هذا استنجد أهالي الجزائر بالقوات العثمانية، وطلبوا المساعدة، حيث قبلوا هذا الطلب بسبب دوافع دينية وكذلك سياسية وكان تدخلهم مشروعا بموافقة سكان أهل الجزائر وعلمائها.

الفصل الثاني

جهود العثمانيين في تحرير مدينة بجاية

المبحث الأول: الموقع الجغرافي وأهميته

المطلب الاول: الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة بجاية
المطلب الثاني: الأهمية الاستراتيجية لمدينة بجاية

المبحث الثاني: التحرير العثماني لمدينة بجاية

المطلب الأول: الحملة الاسبانية وسقوط مدينة بجاية
المطلب الثاني: المحاولات العثمانية لتحرير مدينة بجاية
المطلب الثالث: التحرير النهائي لمدينة بجاية

المبحث الثالث : استراتيجية العثمانيين في بجاية

المطلب الأول: الاهتمام العثماني بالمنطقة
المطلب الثاني: تحصين مدينة بجاية ودفاعاتها
المطلب الثالث: أوضاع بجاية خلال الحكم العثماني

تمهيد:

في هذا الفصل نستعرض فيه جهود العثمانيين في تحرير مدينة بجاية، وهذا بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث، وتكلم في (المبحث الأول) حول الموقع الجغرافي وأهمية، حيث نتناول فيه الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة بجاية، إضافة إلى الأهمية الإستراتيجية لهذه المدينة، ويليه (المبحث الثالث) نتطرق فيه التحرير العثماني لمدينة بجاية، نتعرف فيه على الحملة الإسبانية وسقوط بجاية، والمحاولات العثمانية لتحريرها، كما نتناول التحرير النهائي لهذه المدينة، وأخيرا يأتي (المبحث الثالث) لنعالج فيه استراتجية العثمانيين في منطقة بجاية، نتكلم فيه حول الاهتمام العثماني لهذه المدينة، وكذلك تحصين مدينة بجاية ودفاعاتها، وأخيرا نتطرق لأوضاع منطقة بجاية خلال العهد العثمنانيين.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي وأهميته

مدينة بجاية إحدى ولايات الجزائر،كما سميت "صالدى"، "الناصرية"، "بوجي وڨايث"، وأيضا "لؤلؤة الجزائر" مجازاً، وهي من مدن الجزائر الكبرى والتي تحمل إرثا حضاريا وكانت عاصمة للحماديين وأسهمت في دفع المعرفة بالجزائر، وعلى هذا سنتناول هنا الموقع الجغرافي لمدينة بجاية (المطلب الأول)، إضافة إلى الأهمية الاستراتيجية لمدينة بجاية (المطلب الثاني)

المطلب الأول: الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة بجاية

تقعد مدينة بجاية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، على بعد 244 كلم شرق العاصمة، بجاية اسم خالد في تاريخ المغرب الكبير بشكل عام وبالجزائر بشكل خاص، أقام فيها الفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون خلال العصور العابرة في أعماق الماضي وعرفها المسلمون حين أصبحت عاصمة الدولة الحمادية.[1]

تأسست بجاية على يد الناصر بن علناس الحمادي في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (460ه-1067م) بغرض اتخاذها عاصمة جديدة لدولته الحمادية، وذلك بعد ما تعرضت عاصمته وقلعته للتخريب، تحتضن بجاية تحصينات عسكرية التي تعتبر إحدى المعالم الأثرية المهمة التي مازالت تحتفظ بها المدينة من قلع وحصون عسكرية والواقع أن كل هذه المنشآت العسكرية تلك الاستحكامات التي أنشأت لغرض دفاعي بالدرجة الأولى وبمختلف أنواعها.

والموقع الفلكي لبجاية تقع شمال المغرب الأوسط عند درجة (52° و 40 دقيقة) على الطول خط العرض الشرقي، و(36° و40 دقيقة) على طول خط العرض الشمالي ودرجة الحرار فيها (17°).[2]

حيث تقع على ساحل البحر[3]، بنيت على رجف حجر بها البحر من ثلاثي جهات وصفها صاحب "الاستبصار" وهي مدينة عظيمة، ما بين الجبال شامخة قد أحاطت بها، والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق والغرب والجنوب، ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى "جالون الكبير".[4]

---

[1] - كساي جهيدة، مقراني عبد الرؤوف، دراسة معمارية وتشخيصية لقصبة الجزائر، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في علم الآثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2021-2022، ص11.

[2] - شارل فيرو، بجاية، (تر): اسماعيل العربي، مجلة الأصالة، العدد 19، 1974، ص363.

[3] - محمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السماوة الصوفية، (تح): محمد سمي أبوبكر، المجلد الثالث، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2009، ص559.

[4] - مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، أفاق مرسيه، دار الشؤون الثقافية العامة، ص129.

وصفها موقع بجاية بنقوس شبه اهليجي عرضه نحو (28 ميلا) وعمقه في المتوسط (8 أميال) في منتصف امتداد شواطئ الجزائر يمتد إلى أسفل المدينة في اتجاه الغربي نحو ميلين وفي هذا السهل يصب وادي بجاية الذي كان فيه السفن مثقلة بالبضائع إليها بحرا وبرا، ويمتد عند رأس العوانة (كالقولو) وإلى غاية غربا الذي ينحدر من جبل ميسون "الجبل جواريا حاليا".[1]

وينبثق من جبل "جواريا" فوق السطح ثلاث رؤوس وهي رأس بوحاي وفي الوسط رأس بوأك وفي الجنوب رأس المثقوب في الشمال[2]، ومن المغرب على بعد ميل ينبع من جبال جرجرة نهر عظيم، كان يعج بالمسافرين في عهد الموحدين.

المطلب الثاني: الأهمية الاستراتيجية لمدينة بجاية

تتميز مدينة بجاية بموقع استراتيجي رائع، حيث جذب انتباه الكثير من الرحالة والمؤرخين، قال عنها "الشريف الإدريسي" بأنها: "مدينة على البحر لكنها على جرف حجر"[3] أما محمد "العبدري البلنسي" قال عنها بأنها: "مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية". موضوعة في أسفل سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر، مشرفة عليهما أشرافي الطليعة متحصنة بهما منيعة، وهو ما جاء به مؤلف مجهول، في قوله: "مدينة عظيمة ما بين الجبال شامخة قد أحاطت بها، وبحر منها في ثلاث جهات، الشرق، الغرب، الجنوب".[4]

إضافة إلى الموقع الجيوإستراتيجي الذي تتميز به مدينة بجاية، حيث مناخها حرا صيفا وممطر شتاء وكما أنها قريبة من البحر الأبيض المتوسط الذي يلطف جوها وبفضل المميزات وخصائصها الطبيعية وتنوع في أشكالها وتضاريها من سهول وهضاب وجبال تتوفر على كل الخصائص المدن الساحلية.[5]

ومن خلال هذا الموقع الاستراتيجي الهم أهلها لتظلّ لقرون طويلة مدينة حصينة، ولم يكن حالها كحال المدن التي تراجعت أهميتها وأصبحت مهجورة، ولم يبق منها سوى الاطلال، بينما مدينة بجاية حافظت على مكانتها عبر العصور، ففي نفس الوقت الذي شيدت فيه المدينة الحالية بنيت فيه المدينة الرومانية.[6]

[1] - اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص183.
[2] - المرجع نفسه، ص184.
[3] - الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص259.
[4] - مؤلف مجهول، كتاب، الاستبصار في عجائب الأمصار،(تح) سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، العراق، (د.ت)، ص129.
[5] - عبد الحليم عويسي، دولة بني حماد (صفحة رائعة من تاريخ الجزائر)، دار الشروق، ط1، 1980، ص103.
[6] - F. Elie De La Primaudaie, « Le commerce et la navigation de l'Algérie », Revue algérienne et coloniale, Alger, Juin 1860, P129.

اكتسب مدينة بجاية أهمية استراتيجية لوجود الميناء الواقع في خليج بجاية، الذي يصنف ضمن أكبر خلجان الجزائر، الممتد بين "رأس كربون" و"رأس العافية" الذي ارتبط تكوينه بظهور البحر الأبيض المتوسط الناتج عن حطام مشتت لكتلة صخرية التوائية قديمة مكونة من "النايس" و"الشيست" رفعت سلسلة كلسية جنوبا، وهذه الكتلة غمرت بالماء لتغطي حاليا جزء من المساحة المشكلة لهذا البحر، مما نتج عنه خليج بجاية الذي يمثل حفرة مجوفة سببها هذا الانهيار.[1]

يذكرها الإدريسي: "مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها قوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة"[2] ويواصل القول: "بجاية قطب لكثير من البلاد" فغدت منذ تأسيسها قطبا هاما وقبلة للزوار والعلماء وشهدت إزدهارا في جميع الميادي".

*** لذا من خلال ما تم رصده تتضح لنا الأهمية الاستراتيجية لمدينة بجاية من خلال:**[3]

- الاتساع وتنوع التضاريس (جبال ، سهول) تعمل على توسيع مختلف الأنشطة التي تمارس في المنطقة، إضافة إلى توفر المجاري المائية (الوادي الكبير) والمجاري الأخرى التي تؤدي إلى تنوع النشاط الزراعي وتوفير المياه لساكنيه.
- إطلالها على واجهة بحرية هامة سيكسبها مكانة وتلعب دورا رائدا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط (الأسطول البحري والتجارة).
- توفر الثروات الطبيعية سواء السطحية منها أو الباطنية سيساهم في توفر المادة الأولية في النشاط الاقتصادي.

[1] - Ch. Texier, 1952, « Bougie antique », Revue archéologique, 8, P575.

[2]- الإدريسي أبو عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989، ص116.

[3]- لامية وادي، حاضرة بجاية بين التأثير المحلي والوافد (الفئة الأندلسية أنموذجا)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 08، العدد 03، ديسمبر 2022، ص38.

المبحث الثاني: التحرير العثماني لمدينة بجاية

تحتل منطقة بجاية مكانة مرموقة، حيث تعتبر من بين أهم المواقع الاستراتيجية، ونظرا لهذه الأهمية اتجهت أنظار الإسبان إلى مدينة بجاية، وقررت شن حملة عسكرية سنة 1510م، حيث أدت هذه الحملة سقوط بجاية والسيطرة عليها، إلى غاية ظهور العثمانيين الأتراك، الذي استعادوها منهم بمساعدة أهالي الجزائر، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المبحث، من خلال التكلم عن الحملة الإسبانية وسقوط بجاية (المطلب الأول)، ثم نتعرف نتناول المحاولات العثمانية لتحرير مدينة بجاية (المطلب الثاني)، وأخيرا التحرير النهائي لمدينة بجاية (المطلب الثالث).

المطلب الأول: الحملة الاسبانية وسقوط مدينة بجاية

لقد كانت منطقة بجاية تتميز بمكانة دينية ذات الأهمية، وعلى هذا كانت من أهداف "الكاردينال خمينيس" الذي أمضى وقتا في الاستعداد لنقل ثقل الهجوم من الغرب باتجاه الشرق، فبعد الاستلاء على وهران والمرسى الكبير حاول الإسبان السيطرة على مواقع حساسة لمراقبة البحر المتوسط والاستحواذ على التجارة، فأخذت تستعد لحملة ضد مدينة بجاية[1]، مستغلة الخلافات العرشية، أي الصراع بين عبد الرحمن الحفصي الذي ثار ضد ابن أخيه وزج به في السجن بعد أن أفقده بصره، التي أتيحت لها الفرصة للقيام بهذه الحملة، حيث غادرت السفن الإسبانية المرسى الكبير في (30 نوفمبر 1509م)، بقيادة "بيدرو نافرو"، باتجاه جزر "البليار"[2] حيث قضى شهر ديسمبر هناك، وانضمت إليه قوات دعم إضافية من إسبانيا، ثم أقلع الأسطول بقوة عشرون سفينة تحمل عشرة آلاف من صفوة الجيش معززة بالمدفعية وآلات الحصار لتصل مدينة بجاية في 05 جانفي 1510م.

عند وصول الأسطول الإسباني لواجهة بجاية شرع في قصف المدينة وهذا من أجل ضمان إنزال الجيوش التي ستتمركز بالواد وتحديدا في الموضع الواقع أسفل ضريح سيدي عيسى سبوكي، بحيث قسم "بيدرو نافرو" قائد الحملة قواته إلى فرقتين، الأولى كانت مهمتها مجابهة قوة المجاهدين في جبال قورايا، أما الثانية فواجبها الانقضاض على بجاية واقتحامها.[3]

وعلى الرغم من أن الحملة كانت مفاجئة للسكان، إلا أنهم استرجعوا قواهم وقرروا مواجهة الإسبان مهما كانت الظروف، خاصة وأن خبر احتلال وهران ما زال ماثلا أمامهم، حيث انقسم المقاومون إلى قسمين:

[1] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص115.
[2] - أنظر الملحق رقم (04)، ص63.
[3] - بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1980، ص67.

- **قسم الأول:** تسلق الجبال، ويقدر عددهم بحوالي 10آلاف مقاتل، وتمركز بمرتفعات جبال يماقورايا من أجل منع الإسبان من التزول إلى البر.

- **القسم الثاني**: بقي يناور القوات الإسبانية على الشاطئ حتى يتم عرقلة سيرها، إلا أن نيران المدفعية الإسبانية المتطورة حينذاك مقارنة مع المدفعية البجاوية، فتحت الطريق للجنود الإسبان للتقدم نحو الساحل والجبل، ومع ذلك حاول المقاومون رفقة السكان التصدي ببسالة للقوات الإسبانية على الرغم من استحالة الانتصار عليها، نظرا لغياب قيادة حكيمة[1]، توجه المقاومين وتقودهم، لذلك استسلمت المدينة للعدو واختار أميرها عبد الرحمن الحفصي وأعيانها دعوة السكان لإخلاء المدينة والتراجع نحو الجبال والغابات المجاورة.

أرسل السلطان "عبد العزيز" ابنه أبا فارس ليجمع كل فرق المقاتلين في البلاد ودفع الغزاة عن المدينة، اندفع أبو فارس وأبو عبد الله وسط المحاربين، الذين هرعوا من كل أنحاء البلاد منهم: العرب وقبيلة سدوكيش وكتامة وسكان القبائل المجاورة وزواوة إضافة إلى أربعة علماء، وقد التحق بهم في نفس الوقت بنوا عبد الواد وتوجين لكن التنظيم الجيد للجيوش بطرس نفاروا عاد عليها بالنصر إذ تراجعت قوات بجاية من جديد أمام نيران العدو ومن ثم سيجبر الهجوم المضاد للإسبان جيوش أبي فارس على التقهقر الذي أدى إلى هلاك العديد من الجيوش، والتي بلغ عددها أربعة آلاف وخمسمائة فردا منهم ولدا السلطان أبو فارس وعبد الله ورجال الدين والمرابطون.[2]

يعود إخفاق جيش عبد العزيز إلى التدخلات المباغتة لأخيه أبي بكر الذي لم يشتبك في المعركة بنية النصر وإنما لإنهاك أخوه ، وهذا ما استغله الإسبان حيث كان انشقاق الصفوف لعبة العدو دائما، التي منحت له الفرصة للولوج بشوارع المدينة واحتلالها ومنحه مكاسب عدة أهمها، خضوع السلطان الحفصي بتونس أبو عبد الله عم المتوكل وقبوله بدفع الجزية، وكذلك خضوع مدينة الجزائر التي أصبحت مطوقة من الشرق ببجاية ومن الغرب وهران وتعهد حاكمها بدفع الجزية وموافقة أهلها على تسليم الجزيرة المقابلة للجزائر من أجل اقامت قاعدة بحرية إسبانية.[3]

أرسل المالك "فاردينا ند" للحاكم العام "أنطونيوا دي رفا "نيد رسالة مؤرخة يوم 13 أكتوبر 1511م، يطلب فيها السماح بعودة المسلمين إلى المدينة، وضمان سلامتهم وحرية القيام بشعائرهم الدينية، ثم انتقلت إسبانيا إلى احتلال عنابة في العام نفسه والمدن المحاذية

[1] - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص110.
[2] - صالح عباد، المرجع السابق، ص 32.
[3] - صالح كليل، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني للاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة ، 2006-2007، ص 51.

لـه، كمـا عمـد بيـدرو نـافروا" علـى انتهـاج نفس أسـلوب المعتـاد فـي التعامـل مـع الأهـالي والتحالف معهم، حيث قام بتقديم المساعدة الطبية للملك عبد الله على استعادة بصـره فـأعلن الولاء لإسبانيا والخضوع لها والعمل تحت رايتها .[1]

لقد قرر بيدرو الاستفادة من هذا الوضـع باحتضـان الملـك عبـد الله، لتقسيم المجاهدين بضـرب الواحد للآخر، ففـي 13 أفريـل غـادر بيـدرو بجيش قوامـه ألـف وخمسمائة رجـل رفقـة الملـك عبد الله، وجماعـة مـن رجالـه وفرسـانه فـاخترقوا الجبـل المحيط حيث وجدوا هناك خيام الملك عبد الرحمن فبعد معركة قصيرة انهزم فيهـا هذا الأخيـر، فـي حين قتلت زوجتـه وعدد كبير من أنصاره، فكتب بيدرو رسالة إلى الملك فردينا ند يستشيره في تعيين الملك عبد الله ملكـا علـى بجايـة غيـر أن نجـاة عبـد الـرحمن واستمراره فـي المقاومـة حمـل بيدرو علـى الاستفادة مـن الملكين معـا فتم الاتفـاق بـين فرديناند وعبـد الـرحمن ملـك جبـال البربـر، وعبـد الله ملـك بجايـة علـى تقسيم منـاطق النفـوذ وممارسـة النفـوذ تحـت اشـراف إسباني.[2]

*** وقد ترتبت عن احتلال بجاية عدة نتائج أبرزها[3]:**

1. تـدمير وتخريـب كبيـر طـال المدينـة ومعالمهـا، مثـل تـدمير قصـر الجـوهرة الـذي كـان ارتفاعه 70 ذراعا والمسجد الأعظم، وتحطيم قصر الكوكب.
2. السيطرة على نفائس وأموال المدينة حيث تم نقل ما مجموعه 30 مركبا إلى إسبانيا.
3. فشل المقاومة الرسمية وبداية المقاومة الشعبية التـي أبلـت بـلاء حسـنا فـي الـدفاع عن دينها وأرضها في مقابل خيانة "عبد الله وعبد الرحمن" وخضوعهما للإسبان.[4]
4. إعلان الكثير من المدن خضوعها للإسبان مخافة أن يلحقهم الأذى والدمار مثل تنس، دلس شرشال، مستغانم، مدينة الجزائر وعنابة.
5. خضـوع الأميـر التونسـي أبـو عبـد الله الحفصـي للإسـبان وإعـلان تبعيتـه لهـم، مـع تعهـده بدفع جزية سنوية لهم، مع فرسين وأربعة من طيور الباز.[5]

ومع كل هذا، وعلـى الـرغم من خضـوع واستسلام الملكين ورغم كل الأسـاليب الفظيعـة التـي استعملها الإسبان لإخمـاد شوكة المسلمون، فـإنهم لـم يستسلموا وتنـادوا للجهـاد ضـد المحتل واعترفوا بإمارة أبـي بكـر الـذي كـان يحكـم قسنطينة باسـم الحفصـيين، ويعتبـر (25 ماي 1510م) هو اليوم الذي استولـى فيه الإسبان نهائيا على بجاية.

[1] - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمئة سنة ،المرجع السابق، ص 116.
[2] - المرجع نفسه، ص120.
[3] - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 113.
[4] - محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان، 1969م، ص 30.
[5] - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 114.

المطلب الثاني: المحاولات العثمانية لتحرير مدينة بجاية

سنتناول هنا المحاولات العثمانية في تحرير مدينة بجاية، حيث تشمل هذه الأخيرة محاولتين، الأولى كانت سنة 1512م، أما المحاول الثانية فكانت سنة 1515م:

1/- المحاولة الأولى سنة (1512م)

تعد هذه المحاولة، المعركة الأولى التي جرت وقائعها بين مقاتلي الإخوة بربروس المنقذين والجيش الاسباني المحتل، وقد اختلفت الروايات التاريخية في سبب قدوم الإخوة بربروس إلى بجاية، فخير الدين يذكر أن جهادهم البحري في البحر المتوسط وإلحاق الضرر بمصالح الأوربيين جعل الدول الأوربية تتفق على مطاردهم حيث أعدوا عشر قطع بحرية من نوع "قادرغة"[1] (KADIRGA) إعدادا جيدا للقبض عليهم، فتوجه الإخوة بربروس إلى جنوة لكن بدلوا وجهتهم بسبب الرياح ليقرروا الإرساء أمام قلعة بجاية، فلاحقتهم السفن الاسبانية إلى هناك، ليقرر عروج الانسحاب واستدراج سفن الأعداء إلى المياه والاشتباك معها، وكانت النتيجة أن غنم بربروس ثلاث سفن اسبانية وكذا سفينة القيادة، بينما لاذت السفن الأخرى بالفرار محتمية بقلعة بجاية وهنا لاحظ الإخوة بربروس أنه من الضروري الاستيلاء على قلعة بجاية.[2]

رأى المؤرخ التركي "التر" (ILTER) أن سبب التفات الإخوة بربروس إلى بجاية هو الطلب الذي تقدم به عبد الرحمن "الحفصي" لمساعدته من أجل استعادة حقه من حكومة بجاية، فلبي عروج على الفور طلبه وتوجه على رأس أربع سفن إلى بجاية ووجد عبد الرحمن بانتظاره ومعه ثلاثة آلاف شخص، وأثناء تحرك عروج إلى بجاية شوهد من قبل الأسطول الاسباني، فبدأ بتعقبه وملاحقته.

وبكل شجاعة تصدى عروج لسفن الأسطول الاسباني، وتمكن من إغراق واحدة بالمدافع وأسر اثنتين، وفرت السفن الباقية[3]، وبعد استيلائه على السفن الاسبانية، وضعها جانبا ونزل عروج مع خمسين مقاتلا وبعض المدافع وباشر فورا بقصف الاستحكامات الاسبانية حتى فتح ثقبا في جدارها في اليوم الثامن القصف ومن ثم هاجم القلعة، رغم معارضة خير الدين لذلك لأن قلعة بجاية كانت تعج بالإسبان وبحوزتهم مدفعية تنتظر الهجوم التركي وفعلا أمطرت قوات الإخوة بربروس بوابل من القذائف المدفعية لتصيب إحداهن الذراع الأيسر لعروج فجرحته جرحا بليغا، فحاصرها بألف من الفرسان الأتراك وعشرين ألفا من أهل الجبال حسب "مارمول كربخال".[4]

---

[1] - أنظر الملحق رقم (05)، ص64.

[2] - مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص50.

[3] - إلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيات الشمالية، (تر): محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص45.

[4] - مارمول كربخال: افريقيا، المصدر السابق، ص379

بعدما نتهت المعركة بمقتل ستين مقاتلا من العثمانيين وعدد كبير من الجرحى، أوقف رفاق عروج المعركة، أما "مارمول فيزيد" ، كما انسحبت قوات بربروس إلى تونس حسب خير الدين، وقد غنمت عشرة سفن اسبانية، وتم معالجة جراح عروج وقرر الجراحون قطع ذراعه وبعد معافاته توجه الإخوة بربروس إلى سواحل الأندلس لإنقاذ المسلمين المضطهدين من بطش الاسبان ونقلهم إلى المغرب الأوسط وتونس.[1]

2/- المحاولة الثانية (1515م)

بعدما أصبح الإخوة بربروس يحظون بدعم الدولة العثمانية، تصادفت معركة متجددة والتي جرت وقائعها سنة 1515م، وحسب ما تناولته الكتابات التاريخية أنه لما توجه الإخوة بربروس إلى سبتة للمرور إلى الأندلس بغاية إنقاذ المسلمين، ورد عليهم وفد من مدينة بجاية حاملا رسالة جاء فيها: "إن كان ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال. لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الاسبان. فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم. جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار.[2]

وفي هذه الأثناء وصل كتاب من السلطان العثماني إلى السلطان الحفصي بتونس فيه: "إلى أمير تونس إذا وصلك كتابي هذا عليك أن تعمل به واحذر أن تخالفه وإياك أن تقصر في تقديم أي عون لخادمينا: عروج وخير الدين. ومنذ هذه اللحظة تحول الإخوة بربروس من قراصنة مجردين من أي حماية إلى خدام السلطان العثماني سليم الأول مما يعني تحول نظرة الملوك المسلمين وغير المسلمين تجاههم.

تدارس عروج مع أخيه خير الدين الوضع، فصمما أولا على احتلال المدن الساحلية، بدءا بجيجل القريبة من بجاية وحالما بلغها، باشر بقصفها وبعد مقاومة بسيطة استسلمت المدينة. وألقى عروج القبض على الجنود الجنوبيين والبالغ عددهم مائة جندي.[3]

ومن جيجل توجه الإخوة بربروس إلى ميناء بجاية في ألفين وثلاثة وثلاثين بحارا وعشرة سفن ،قادرغة ومائة وخمسين مدفعا وآلاف الأسرى الذين يقومون بالجدف ويساعدهم عشرون ألف متطوع من الأهالي الذين كانوا لا يعرفون الفنون القتالية جيدا. وبدأ حصار بجاية من البر والبحر دام أربعة وعشرين يوما وخلاله أنزل عروج بعض سفنه بعساكرها بوادي الصومام الذي يصب في البحر المتوسط، كما قام بنقل مدفعيته إلى البر وترك الباقي في البحر، وبعد اشتباك في معركة دامت ثلاث ساعات ونصف، قتل فيها أكثر من صفوف الاسبان، تمكنت قوات عروج من دخول ميناء بجاية، لتتوجه بعد

[1] - مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص55.
[2] - المصدر نفسه، ص67.
[3] - إلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيات الشمالية، المرجع السابق، ص48.

ذلك إلى تطويق قائد القلعة دي فانتيرا مع شرذمة من الاسبان الموجودين بالقلعة الداخلية، وبعد قصف استمر أربعة أيام، سقط الحصن الخارجي وتقدمت الاستحكامات الرئيسية للقلعة فاندفع المتطوعون البجاويين لمهاجمة القلعة واستولوا على القلعة الداخلية وأسروا خمسمائة شخص عدا القتلى والجرحى.[1]

خلال هذه المدة، فرغ البارود من قوات عروج ولم تصله كميات البارود التي طلبها من سلطان تونس الحفصية، الذي بدأ يظهر عداوته للأتراك والسعي لنصرة الاسبان وذلك لما كان بين جده عبد الرحمن وأحمد بن القاضي المعروف "ببوقطوش"، الموالي للأتراك من العداوة[2]. ووسط هذه الضائقة وصلت خمس سفن حربية من اسبانيا بقيادة دي مارتين لنجدة القوات الاسبانية ببجاية.

كما أصبح عروج مجبرا على فك الحصار بسبب اقتراب موسم العواصف البحرية، والذي يبدأ مع نهاية شهر جويلية كما اضطر عروج إلى إحراق السفن لكي لا تبقى غنيمة للأعداء فالسفن التي تركها في وادي الصومام، جفت مياهها وغدت على اليابسة وهذا ما دفعه لإحراقها والتخلص منها، وذهب سيرا على الأقدام حتى وصل أسوار جيجل. أما خير الدين، فقاد القوات التركية الملازمة للبحر وسحبها نحو جيجل التزاما بالاتفاق مع أخيه عروج وأخذ يترصد القوات الاسبانية القادمة من "مينورقة" إحدى جزر البليار لنجدة بجاية. ولما ظهرت في الأفق عشرة سفن كبيرة من نوع ،قادرغة مشحونة بالأسلحة والمعدات العسكرية، تم تنفيذ الهجوم عليها تحت صيحات التهليل والتكبير، ووقع الاشتباك في معركة كبيرة انتهت بالاستيلاء على السفن العشرة وقتل الجنود الاسبان، ولم يبق سوى ثمانية وسبعين جنديا أخذوا أسرى وتم تقييدهم للعمل في الجدف.[3]

قام خير الدين بربروس بخداع الإسبان، حيث نشر الرايات الاسبانية على السفن العشرة ودس خمسمائة بحار عثماني في السفن واتجهت إلى بجاية وكان الاسبان المتحصنون بقلعة بجاية ينتظرون القطع البحرية العشرة القادمة من مينورقة لإمدادهم، ولما رأوها بدأوا يلوحون بقبعاتهم ،فرحا، ففتح الاسبان أبواب القلعة وتدفقوا على قصورهم الساحلية لاستقبال السفن التي جاءت لنجدهم. وفجأة خرج البحارة العثمانيون إلى الساحل مهللين فتراجع الاسبان واضطربت صفوفهم فتمكن خير الدين من فتح القلعة وراح الاسبان يصرخون طالبين الأمان.

بعدما فتح خير الدين بربروس القلعة جاء جميع الشيوخ وقواة المناطق المجاورة لبجاية مبايعين له على فوزه على الاسبان، وانتصب عروج وخير الدين ملكين على هذه

[1] - إلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيات الشمالية، المرجع السابق، ص48.
[2] - ابن محمد الجيلالي، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، الجزء 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص38.
[3] - مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، 70.

البلاد الجزائرية، ثم رجع خير الدين إلى جيجل لمقابلة أخيه عروج الذي هنأ خير الدين على فتحه لقلعة بجاية . استولى خير الدين بربروس في هذه الحملة على ثمانمائة برميل من البارود وعدد لا يحصى من الغنائم. أما الاسبان فقد أبدوا سخطا كبيرا على ضياع قلعة بجاية منهم، وأصدر بالمناسبة ملك اسبانيا وألمانيا شارل الخامس أوامره بوجوب تخليص بجاية، وإنقاذ الأسرى من الأتراك العثمانيين.[1]

بعد هذا الفوز للإخوة بربروس في بجاية وما سبقه من انتصارات في عرض البحر المتوسط، تعالت أصداء هذه الجماعة المجاهدة، فبدأت تصلهم بجيجل وفود عديدة من المدن الجزائرية، كان أهمها وفد مدينة الجزائر التي كانت تمثل مركز البلاد. وهنا يلاحظ الدكتور محمد دراج من جامعة الجزائر أن خير الدين لم يفتح بجاية ولم يطرد الاسبان منها بالكامل، إذ لم يتحقق ذلك إلا في عصر البايلرباي صالح رايس سنة 1555م، والذي يفهم من مذكرات خير الدين بربروس أنه فتح قلعة واحدة فقط بالمدينة، وحسب "مارمول" بقيت بجاية تحت حكم ملوك قشتالة مدة 45 سنة وكانت لهم بما حامية من 500 جندي في ثلاث قلاع ينطلقون منها للقيام بالغارات في الجهات المجاورة، ضد قبائل مدربة على القتال.[2]

المطلب الثالث: التحرير النهائي لمدينة بجاية

لقد استطاع صالح رايس ضم تلمسان إلى السلطة العثمانية سنة 1554 م ،كما قام بتأديب الإمارات المتمردة مثل إمارة بني جلاب بورقلة وتوقرت وإمارة كوكو[3] بمنطقة القبائل، التفت إلى الخطر الإسباني الذي كان حجر عثر في وجه توحيد الأراضي الجزائرية، فغربا كان لا يزال الإسبان بالمرسى الكبير ووهران،وشرقا كانت بجاية تحت السيطرة الإسبانية، وبالتالي كان صالح رايس محاصرا شرقا وغربا من طرف الإسبان ومادامت الجهة الغربية قريبة من الإسبان وحلفائهم المغاربة في ذلك الوقت فإنه كان يرى أن الوقت مناسب لتحرير بجاية.[4]

سار صالح رايس إلى بجاية على رأس جيش قوامه 30 ألف جندي سنة 1555 م ، وفي الطرق تعزز هذا الجيش بالكثير من رجال إمارة كوكو[5] ، بينما قدم الأسطول البحري محملا بالمدافع والمؤن، ومباشرة بعد وصول صالح رايس أعطى الأوامر

---

[1] - مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص72.
[2] - مارمول كربخال: افريقيا، المصدر السابق، ص379.
[3]- أنظر الملحق رقم (06)، ص65
[4]- إلتر عزيز سامح، المرجع السابق، ص193.
[5]- بلبراوات بن عتو، بجاية من الاحتلال الإسباني إلى التحرير العثماني (2510-1555)، عصور جديدة، عدد 7-8، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013، ص184.

لحصار المدينة من جهة البر بحوالي 40 ألف جندي كان من بينهم 10 آلاف من الفرسان المسلحين بالبنادق ومن جهة البحر 22 سفينة حربية صغيرة والقادرغات الحاملة للمدفعية

ومن حسن حظ صالح رايس أن واد الصومام كان فائضا لتهاطل أمطار الخريف، لذلك تمكنت السفن الجزائرية من اجتياز مصبه إلى خلف المدينة على مسافة 5 كيلومترات تقريبا، ودخلت السفن من مجرى الوادي إلى أن استقرت خلف القلاع، فأنزل صالح رايس مدفعيته وآلاته الحربية وقام بحصار المدينة وتطويقها بإحكام.[1]

حيث باشرت قوات صالح رايس في قصف بجاية بشدة حتى تمكنت من هدم قصر الإمبراطور في حصن موسى، ليتم اقتحام هذا الحصن الذي غادره الإسبان لتعذرهم الدفاع عنه، وبعد خمسة أيام استطاع السيطرة على حصن البحر، لتحاصر القوات الجزائرية الحصن الأعظم الذي لجأ إليه قائد قوات حرس بجاية الدون "ألونزودي برالتا" وجنوده، حيث حوصر هناك مدة 22 يوما، وبعد تأكد القائد الإسباني أنه لا جدوى من المقاومة، قرر الفرار مع 120 جندي فيما فضل بعض المسيحيين من الأهالي الاستسلام، بعد أن أعطيت لهم ضمانات بتوفير سفينة لنقلهم إلى أليكانت إحدى المدن الإسبانية.[2]

وحين عاد "الدون ألونزودي برالتا" والذين معه إلى إسبانيا، قام الإمبراطور الإسباني "شارلكان" بسجنه وحوكم فيما بعد، وصدر بحقه حكم بقطع رأسه أمام العامة من الناس، في ساحة عمومية ببلد الوليد[3]، بعد اتهامه بجناية الخيانة العظمى وعدم قدرته على الدفاع عن مصلحة بلاده، إذ لم يدخل نصوصا يستفيد منها رجال الحامية والأهالي المسيحيين في وثيقة الاستسلام، وبتاريخ 28 جويلية دخل صالح رايس بجاية منتصرا وألقى القبض على 600 شخص من الأهالي المسيحيين، كما غنم الكثير من الأسلحة والذخائر الإسبانية، ليعم بذلك الحزن والأسى جميع أنحاء إسبانيا، وكان أكثرهم تأثرا لهذا المصاب الذي ألم بهم سنة 1555 م الإمبراطور ، شارلكان وقادته ، وبعد هذا الانتصار الذي استغل فيه صالح رايس الأوضاع الحرجة للحامية الإسبانية ببجاية.[4]

وبعدما تم طرد الإسبان من بجاية رجع صالح رايس إلى الجزائر، تاركا وراءه ببجاية خليفة له يدعى "علي باردو" مع 600 جندي انكشاري، مكلفا إياهم بالمحافظة عليها وحراستها جيدا، فقام علي باردو بترميم ميناء المدينة وزاد من الإستحكامات، وهذه الخطوة التي قام بها صالح رايس لم يبق تحت سيطرة الإسبان من السواحل الجزائرية إلا المرسى الكبير ووهران.

---

[1]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 323.

[2]- إلتر عزيز سامح، المرجع السابق، ص195.

[3]- مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 380.

[4] -Primaudid (De la), Document Inédits Relation du frère Juan de Iribes sur les événement du Tunis, 4 Janvier, 1535, R.Af, N°19, Alger, 1875, pp 267,268

المبحث الثالث : استراتيجية العثمانيين في بجاية

نظرا لموقعة هذه المدينة التي تتميز بعدة خصائص، منها استراتيجية وجغرافية إضافة إلى خصائص اقتصادية وتجارية، فقد كانت لهذه المدينة أهمية كبيرة للعثمانيين في استرجاعها من الاحتلال الإسباني وطرده، وهذا ما سنحاول توضيحه.

المطلب الأول: الاهتمام العثماني بمدينة بجاية

لقد أثار استرجاع العثمانيين لمدينة بجاية، استياء عام في البلاد الصليبية، حيث اعتبر الإسبان أن هذه الهزيمة عار تلطخت بها بلادهم، كما ترك ضياعها أثرا سيئا في أنفسهم، حيث كانت هذه المدينة تمثل للأوربيين حصنا مسيحيا، التي قد تُمهد لهم طريق استعمار القارة الإفريقية بأسرها، كما كان يطمح إلى تحقيقه ملوك إسبانيا.[1]

فإنه كان نصرا كبيرا وفتحا عظيما اهتزت له مشاعر المسلمين كافة، ويعتبر تعزيزا للوجود العثماني في الجزائر وتقويته، فعلاوة على الموقع الاستراتيجي الذي تحتله مدينة بجاية والذي كان يسمح بالمراقبة والإشراف على الطرق البحرية بين الحوض الشرقي والغربي للمتوسط والتحكم فيه سمح للأتراك باستغلال الخيرات والإمكانيات الاقتصادية للمنطقة، كما ضمن للأسطول الجزائري الحماية في ميناء سواحل المنطقة.[2]

لقد حفزهم تحرير بجاية على المضي في تحقيق أهدافهم في تطهير كافة السواحل الجزائرية من هذا الاحتلال الإسباني، فطلب من السلطان القانوني مع الوفد الذي حمل البشرى والهدايا والغنائم التي غنمها بعد تحرير قلعة بجاية، إمداده بالأسلحة والجند وكل ما يحتاجه قصد التوجه لمحاصرة وهران واسترجاعها، فوعده السلطان بالاستجابة إلى طلبه، فجهز "صالح رايس" الجيش في منطقة تمنفوست شرق مدينة الجزائر، في انتظار وصول إمدادات السلطان، وكان قد عقد التحالف مع السلطان السعدي في المغرب، لكنه أصيب بوباء الطاعون الذي ضرب مدينة الجزائر سنة 1556م تسبب في وفاته، فأكمل "حسان قورصو" الذي خلفه المهمة، لكنه عندما وصل إلى مكان يسمى عين الترك، تلقى أمر السلطان سليمان بأن ينسحب فورا ويلحق به في اسطنبول، لأنه في حاجة ماسة إلى الأسطول الجزائري لدفع تهديدات أندريا دوريا الذي كان يهدد مضيق البوسفور، ولم تطل مدة حكم حسان قورصو، فتولى الحكم بعد حسن بن خير الدين باشا للمرة الثانية سنة 1557م.[3]

---

[1] - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص250

[2] - Rozet et Carette: L'Algérie, imp, Firmin Didot frères, Paris, 1850.P 116

[3] - نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى نهاية العهد التركي، (د.ط) دار الحضارة ، الجزائر، 2007، ص101.

لقد واجه القائد العثماني "علي صاردو" صعوبات كبيرة في إعادة إعمار بناء منطقة بجاية التي تعرضت للتخريب، فلم يجد فيها الأتراك لما فتحوها، سوى الجثث والخراب، حيث تسببت المعارك العنيفة في تهديم كل البنايات جراء القصف من كلا الجانبين.[1]

ان طرد العثمانيين للإسبان من بجاية وتحريرها، كان له صدى كبير ليس في الجزائر وحسب بل في كل البلاد الإسلامية، فأعيان مدينة قسنطينة أرسلوا رسالة إلى السلطان "سليمان القانوني" حيث يشيدون فيها بالجهاد لصالح الرايس ويقرون بحكمه، واعتبروا استرجاع مدينة بجاية قاعدة المغرب الأوسط نصرا عظيما وفتحا مبينا للمسلمين كافة.[2]

إن هذه الرسالة تدل على اعتراف الأهالي بفضل الأتراك العثمانيين، ووقوفهم إلى جانبهم في طرد الأعداء وفي ذلك نصر للدين، ذلك أن المسيحيين كانوا يستهدفون في حملاتهم وغزواتهم القضاء على هذا الدين، وإعلان دينهم كما كان رهبانهم يصرحون به جهرا.[3]

المطلب الثاني: تحصين مدينة بجاية ودفاعاتها

بعد فتح مدينة بجاية، كان على السلطة العثمانية الحرص على تعزيز دفاعاتها، ذلك بما تتميز به بجاية من موقعها الاستراتيجي، جعل منها عرضة لغزوات الدول الأوروبية، ومن أجل ذلك أولى العثمانيين الأتراك اهتماما كبيرا لتحصينها، فالحصانة الطبيعية وحدها لا تكفي لصد أي تحرش أجنبي، فحرصوا على تنصيب بطاريات في الحصون والأبراج التي وجدوها في المدينة، وعملوا على زيادة تحصيناتها وتعزيز قدراتها الدفاعية.[4]

حيث جاء في وصف العقيد "لومير" على أن: "البقايا الأكثر وضوحا لهذه المدينة العظيمة هي الأطلال التي تحيط بها من كل جانب، وكذلك جدار طويل ذو أبراج عالية، والتي تمتد من البحر إلى أعلى قمة الجبل حيث يوجد ضريح مرابطة تدعى "قوراية"[5] وفي القمة شيد برج حصين طبيعيا"، يمثل طول هذا الجدار الذي يبلغ طوله (2300) متر، خطا دفاعيا ممتازا، حيث يسمح بالتحصن به وبمراقبة المناطق المحيطة بها والسيطرة عليها.[6]

[1] - لخضر بوطبة، بجاية خلال العهد العثماني (1555-1833م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، جامعة الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2016-2017، ص112.

[2] - ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري بايلك قسنطينة اثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف، تقديم وتعليق ترجمة ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص30

[3] -المرجع نفسه، ص35.

[4] - لخضر بوطبة، بجاية خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص119.

[5]- أنظر الملحق رقم (07)، ص64.

[6] - Rozet et Carett, op, cit, p113.

يعد مبنى القصبة الأكثر أهمية في بجاية حيث كانت مقر حكم الأتراك، ويقابلها في الأعلى برج موسى، ثم الباب المرقوم، ويأتي برج عبد القادر الذي يعد من أهم الحصون في منطقة بجاية، والذي يحتمل أن يكون قد تم بناءه على يد الحماديين، بالنظر لموقعه الهام، وهو البرج الوحيد الذي وجده الإسبان عند احتلالهم لبجاية، فقاموا بتعزيزه وتحصينه حتى أضحى من أهم حصونهم، وكان منصبا به عشرون مدفعا، وقد صمد لمدة خمسة أيام تحت ضربات "صالح رايس" عام 1555م.[1]

يعد برج الأبواق أحد الأبراج الشاهدة على الوجود العثماني التركي في بجاية، فقد شُيد لمراقبة البحر من جهة مرسى سيدي يحي في الجهة الغربية لمدينة بجاية، ومن أجل تعزيز دفاعات المدينة من جهة أخرى كان يستخدم محطة للرصد من قبل العثمانيين، وذلك بفضل موقع الاستراتيجي حيث يطل على الخليج.

كان هذا البرج جرس للتنبيه وهذا عن طريق دق الأبواق في حالة الاقتحام في عرض البحر، وبهذه الطريقة يكون أمام الحامية العثمانية والأهالي وقت كافي للاستعداد لملاقاة العدو وصد هجماتهم البحرية، وكان هذا الحصن مزود ببطارية تتكون من أربعة مدافع من العيار الكبير[2]، وشيد هذا الحصن بالحجارة ويرتفع عن الأرض بأربعة أمتار، ويبلغ طوله أربعون مترا وعرضه ثمانية أمتار.[3]

ونظرا لأهمية مدينة بجاية وميناءها الذي كان ملجأ وملاذا لأسطول الإيالة طول العهد العثماني فقد أولى الحكام الأتراك العناية الكبيرة بتحصينها والحرص على ترميم ما يلحق به العطب أو التخريب، فعلاوة على "السور"[4] القديم الذي كان يحيط بالمدينة، عملت السلطة على زيادة تحصيناته من خلال تزويده بالأبراج والمدافع، وهذا من أجل إيقاف أية محاولة لغزو مدينة بجاية.

[1] - جودي اسماعيل، الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني (1518-1830) مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص91.

[2] - لخضر بوطبة، بجاية خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص121.

[3] - Féraud, Charles: «Histoire de Bougie», in l'Oued-Sahel, n°1564, 04-04-1901, P114.

[4] - أنظر الملحق رقم 08، ص65.

المطلب الثالث: أوضاع بجاية خلال الحكم العثماني

ان الحكام الأتراك ومنذ إلحاق الجزائر بسلطتهم، حافظوا على التركيبة السياسية في الإيالة، حيث تركوا الحكم للزعامات المحلية، واحتفظوا بالحكم في المدن الكبرى، كمدينة الجزائر، وقسنطينة... وغيرهم، أما الأرياف والبوادي فكانت السلطة الفعلية بيد شيوخ القبائل، وزعماء العشائر ورؤساء الزوايا[1].

حيث يقول "لو روي" تتمتع منطقة قبائل بجاية بأنظمة جمهورية حقيقية يسودها القانون ويتمتع الجميع فيها بالمساواة، ولا مجال للفردية فيها، إذ الأفضلية في القوانين العرفية التي تحكم السكان للجماعة على حساب الفرد"، حيث كان يسود المنطقة المحيطة ببجاية النظام القبلي الذي كان سائدا منذ القدم والذي تدعم بالتعاليم الإسلامية، واستمر العمل به في ظل الحكم العثماني، حيث عمل الأتراك على احترامه واستمراره.[2]

فقد كان أهالي بجاية في ظل الحكم العثماني يخضعون إلى العادات والتقاليد في تنظيم شؤونهم والعلاقات فيما بينهم التي توارثتها الأجيال أبا عن جد، وتجدهم يحرصون على استمرارها، ومن ذلك عادة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والاحتفال بين السابع والعشرين من رمضان، وكذا احتفالهم بعيد الفطر والأضحى.[3]

وبحكم الموقع الجغرافي لبجاية وقبائها وإطلالها على البحر، مارس سكانها النشاط التجاري منذ القدم، حيث استمروا في تجارتهم خلال الحكم العثماني على الرغم من تقلصه وتراجعه بسبب الاحتلال الإسباني لبجاية قبل تحريرها.[4]

أجمعت المصادر التاريخية بأن بجاية ونواحيها خلال العهد العثماني كانت تنتشر فيها الأسواق وكانت منتظمة ومتنوعة وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا حياة سكانها اليومية، كما سجلت الحوليات تأكيدها على مكانة الأسواق لدى السكان، وتخصص الأسواق وفقا لمنتوجات المناطق المختلفة، وعلى الرغم من أن القبائل المحيطة ببجاية لم تكن كلها خاضعة للسلطة العثمانية، إلا حاجتها إلى التزود بالمواد ضرورية لتعيش كان يحتم عليها التردد على الأسواق التل لبيع الفائض من الإنتاج من زيت الزيتون والتين المجفف على الخصوص، وبعض المصنوعات الحرفية التي يصنعونها بأنفسهم، وبالمقابل يتزودون بالحبوب ومواد أخرى ضرورية لبعض الصناعات الجلدية والصوفية.[5]

---

[1] - إلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيات الشمالية، المرجع السابق، ص 54.
[2] - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني ، المرجع السابق، ص58.
[3] - محمد أرزقي فراد، إطلالة على منطقة القائل، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص169.
[4] - فيلالي كمال، البايلك نظام حكم في الجزائر العثمانية، الهجرة والرحلة، مجلة الأبحاث والدراسات السوسيوتاريخية حول حركات الهجرة، جامعة قسنطينة 02 أفريل 2014.
[5] - لخضر بوطبة، بجاية خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص179.

لقد كان سكان مدينة بجاية يقومون بمهمة العملية التعليمية بأنفسهم، حيث لم تأخذ السطات العثمانية على عاتقها الإشراف على هذه العملية، إنما تركته لسكانها، فكان التعليم حر في مدينة بجاية، وكان الطالب يعتبر رجل الدين بالنسبة لهم وليس رجل علم، كما كانت اللغة العربية لغة الإدارة والتعليم والمعاملات، كانت لغة الكتابة عند العلماء والفقهاء وأصحاب الطرق الصوفية والزوايا، أما لغة التخاطب بين عامة سكان بجاية فكانت البربرية.[1]

كما كان بناء المساجد والحرص على الإنفاق عليها ظاهرة عثمانية ميزت الكثير من حكامها، كما كانوا يتصدقون على الفقراء لاسيما في شهر رمضان حيث كانوا يقدمون وجبات مجانية للمحتاجين والفقراء طيلة هذا الشهر[2]، لقد وصف "شارل فيرو" وصفا دقيقا لأحد المساجد التي بناها الأتراك حيث يقول:" كان طول هذا المسجد 220 ذراعا وعرضه 150 ذراعا وله واجهة مزينة بسبعة عشرة عقدا، وباب كبير على يمينه ويساره ألواح خشبية مزينة بكتابات رائعة الشكل وبجانب هذا الباب الرئيسي كان للمسجد 22 بابا، أحدهما يؤدي إلى بيت صلاة مخصص للنساء، وداخل هذا المسجد توجد 32 سارية من الرخام وقبة عظيمة، وكانت أرضية المسجد مفروشة بالرخام، وجدرانه مغطاة بالزليج وعليها آيات قرآنية".[3]

كذلك انتشرت الزوايا في مدينة بجاية خلال هذه الفترة العثمانية، وكانت تقوم على التربية والتعليم، ولعل أبرز رجال العلم والتصوف في هذه المدينة هو الشيخ الولي "سيدي محمد التواتي" الذي ظلت زاويته تقوم بالنشاط التعليمي إلى غاية عام 1828م[4].

وتنتشر في بجاية وضواحيها العديد من الزوايا والأضرحة والمساجد التي كانت ولا يزال بعضها مزارا للسكان إلى يومنا هذا، حيث كانت هذه الأخيرة أمكنة مقدسة لدى الجميع سواء كانوا العثمانيين أو سكان مدينة بجاية[5]، ولا أحد يجرؤ على انتهاك حرمتهم.

[1] - أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص292.

[2] - خليل إينالجك، المرجع السابق، ص 68.

[3]- -Féraud, Charles, op, cit, p188

[4] - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995، ص 20.

[5] - محمد حرّاث، عوامل انتشار الوعي الديني والقومي في منطقة زواوة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 09، 2012، ص185.

خلاصة:

لقد تميزت مدينة بجاية بمكانة مرموقة عبر التاريخ، تشد إليها الرحال وحققت الازدهار والرقي، لكن هذا لم يدم بسبب تعرضها للاحتلال الإسباني، حيث تراجع مكانتها الحضارية والاقتصادية والسياسية، جراء الخراب الذي حل بها على يد الإسبان، وفي هذه الظروف استنجد أهالي المنطقة بالإخوة بربروس فكانوا السبب محاربة وطرد هذا الاحتلال، وهذا يدل على حرصهم على دينهم وعرضهم، وإدراكهم بهذا الخطر المسيحي.

خاتمة:

وفي ختامنا لهذه الدراسة يمكننا القول بأن الإسبان استطاع اتمام الوحدة السياسية والقضاء على التواجد العربي من على أراضيه، وإسقاط مملكة غرناطة بالأندلس، لتوجه أنظاره إلى الدول الإسلامية بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، حيث تم احتلال سواحل الجزائر الواحدة تلو الأخرى، مستغلة ضعف الدولة وعجزها على الدفاع عن أراضيها وحدودها، ومن بين أهم هذه السواحل، ساحل مدينة بجاية، وهذا يعود لعدة دوافع من ضمنها دوافع دينية، سياسية واستراتيجية وكذلك اقتصادية، حيث توجه أنظار الغزو الإسباني لموقعة بجاية، وهذا بعد ما تمت عملياتها في سواحل المرسى الكبير وهران، ووجهت مدافعها نحو بجاية، حيث وقعت مقاومات شديدة وعنيفة ضد هذا الغزو من طرف أهالي سكان بجاية، لكن هذه المقامات باتت بالفشل بسبب الصراعات والاختلافات بين سلاطينها في تلك الفترة، وهذا ما استغله العدو ونجح في الاستيلاء على مدينة بجاية والسيطرة عليها نهائيا وهذا سنة 1510م.

ومع كل هذا، وعلى الرغم من خضوع واستسلام وكل الأساليب الفظيعة التي استعملها الإسبان لإخماد شوكة المسلمون، فإنهم لم يستسلموا وتنادوا للجهاد ضد المحتل، حيث طلبوا أهالي بجاية المساعدة من العثمانيين، وكان ارتباط تدخلهم بعوامل دينية وسياسية، وبموافقة أهالي الجزائر وعلمائها، وكان هذا بالاتصال بالإخوة "بربروس" فكانوا السبب في إلحاق الجزائر بالباب العالي وما تبع ذلك من تحولات على جميع الأصعدة، كما لعب هؤلاء السكان دورا مهما في محاربة العدو الإسباني وطرده من السواحل الجزائرية.

في سنة 1518م حمل خير الدين بربروس مشعل الجهاد ضد الإسبان وبعد تصديه بنجاح لحملاتهم، استطاع في أواخر عام 1519م، بحماية وإلحاق الجزائر بالراية العثمانية وأصبحت تابعة لها كون الجزائر لا تتوفر على القوة العسكرية اللازمة لصد الاحتلال الاسباني ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الجزائر إيالة عثمانية ومنح السلطان العثماني "سليم الأول" لقب أمير الأمراء أو "بايلر باي خير الدين" واتخذ الجزائر عاصمة له، حيث عاشت الجزائر في ظل حكم عثماني أكثر من ثلاثة قرون.

لقد نظم العثمانيون البحرية في بجاية، وأرسوا دعائم قيام دولة حديثة، وكانت دولة مستقلة عن الدولة الأم، وكان كل ما يصدر عنها يصدر باسم الجزائر المحروسة، ولقد

دافع العثمانيون بأساطيلهم وبحريتهم التي أعادوا تنظيمها في بجاية عن شواطئ المغرب العربي كلها والأندلس.

وكان للعثمانيين الدور الكبير في إعادة المركز الثقافي والحضاري لمدينة بجاية، كما كانت في عهد الحماديين، حيث أشار المؤرخون ان العثمانيين كان بإمكانهم أن يجعلوا من بجاية مقرا لحكومتهم حيث تتوفر فيها الشروط الضرورية لجعلها مؤسسة بحرية قوية.

حيث لم يكن دخول العثمانيين في المغرب العربي، أمرا متوقعا ولم يكن يدور على أورقة الدولة العثمانية، و لم يكن نتيجة تصميم العثمانيين، بل بعوامل الظروف السائدة، وتدخلهم في مدينة بجاية لم يكن احتلالا مفروضا عليهم بالقوة، إنما كان تدخلا بطلب من أهالي المنطقة، الذين ذاقوا الظلم والقمع من الاحتلال الإسباني.

حيث ارتبط اسم الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1517، وهي السنة أصبحت فيها الجزائر أول إيالة عثمانية في شمال إفريقيا، لقد استقروا العثمانيين بالجزائر، حيث بادروا بإنشاء العديد من المؤسسات تشبه إلى حد كبير المؤسسات الموجودة في مركز الخلافة العثمانية.

والكثير من دول البحر الأبيض مدينون لمدينة بجاية وعلمائها الذين كانوا سبباً في تأسيس الدولة العثمانية الجزائرية التي دافعت وحمت وطردت الإسبان ، وحافظت على الحضارة العربية الإسلامية .

قائمة المصادر والمراجع

ـ قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر :

- الإدريسي أبو عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989.
- إلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيات الشمالية، (تر): محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
- بن أبي ضياف أحمد ، أتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، 1962.
- بن خلدون عبد الرحمن ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ج 6، دار الكتابي اللبناني ، بيروت لبنان، 1981م.
- بن سحنون أحمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، (تح): المهدي بوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973 .
- بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1977.
- التميمي عبد الجليل ، الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية المورسكين، العدد10، تونس، 1987.
- حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وطورها قبل 1830، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.
- خير فارس محمد: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان، 1969م.
- سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق وتقديم، عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980.
- سعد الله أبو قاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.
- سليماني أحمد ، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، (د.ت).

- العسلي بسام ، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1980.
- عويسي عبد الحليم ، دولة بني حماد (صفحة رائعة من تاريخ الجزائر)، دار الشروق، ط1، 1980.
- كربخال مارمول: افريقيا، (تر) محمد الحجي وآخرون، دار النشر المعرفة لنشر والتوزيع، ج2، الرباط، 1989.
- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، أفاق مرسيه، دار الشؤون الثقافية العامة، (د.ت).
- الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م.
- الوزان حسن ، وصف إفريقيا،(تر) : محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

2- المراجع:

- ابن عميرة ، أبي المطرف أحمد المخزومي، تاريخ ميورقة، (تح) : محمد بن معمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.
- أبو عباس أحمد الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية، (تح): رابح بوتارل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
- الادريسي الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- بن خروف عمار ، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006.
- بن عتو بلبراوات ، بجاية من الاحتلال الإسباني إلى التحرير العثماني (2510-1555)، عصور جديدة، عدد 7-8، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013.
- بن مامي محمد الباجي ، مدارس مدنية تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن السابع إلى القرن الثالث عشر هجري، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2006.

- بنو جيت يوسف ، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر ميلادي، (تر) محفوظ قداش وسامية سعيد عمار، دار النشر دحلب، الجزائر، 2009.
- بوبة مجاني ، النظم الإدارية في المغرب خلال العصر الفاطمي (226-362ه/909-973م)، (الجزائر، ليبيا، تونس، المغرب، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن، 2010.
- بوعزيز يحي ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995.
- بوعزيز يحي ، العلاقات الخارجية مع دول المماليك أوروبا (1500-1830)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.
- بوعزيز يحيى ، الموجز في تاريخ، ج 2،ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر،2009.
- بوعزيز يحيى ، مدينة وهران عبر تاريخ، ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- بوعزيز يحيى ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1 ، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- جودي اسماعيل، الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني (1518-1830) مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008-2009.
- الجيلالي محمد ، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، الجزء 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- حرّاث محمد ، عوامل انتشار الوعي الديني والقومي في منطقة زواوة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 09، 2012.
- حركات إبراهيم ، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (15/9م) ج2 ، التصوف، ط1، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، المغرب، 2000.
- حساني مختار ، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، الجزائر، 2003.
- حكمت ياسين ، الغزو الإسباني في القرن السادس عشر أسبابه ومراحله ونتائجه، الأصالة، العدد 14، 2011.

- خلفات مفتاح ، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين (6ه-9ه/12م-15م) دراسة سياسية والحضارية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2011.
- دراج محمد ، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543م)، دار الأصالة للنسر والتوزيع، ط1، 2012.
- سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، (تر) عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2007.
- سعدي عثمان ، الجزائر في التاريخ ، دار الأمة، الجزائر، 2013 .
- سعيدوني ناصر الدين ، الشرق الجزائري بايلك قسنطينة اثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف، تقديم وتعليق ترجمة ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- شويتام أرزقي ، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.
- الصلابي علي محمد ، دولة السلاجقة، ط 1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي (1519-1830م)، دار الهومة، الجزائر، 2007.
- عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى نهاية العهد التركي، (د.ط) دار الحضارة ، الجزائر، 2007.
- العربي اسماعيل ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- عقلية الغناي ، سقوط دولة الموحدين، ط1، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، (1988-2008م) .
- فراد محمد أرزقي ، إطلالة على منطقة القائل، دار الأمل، الجزائر، 2006.
- فركوس صالح ، تاريخ الجزائر من قبل ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار هومة، عنابة، 2005.
- فكاير عبد القادر ، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية: دورية كان التاريخية، ع 18، ديسمبر 2012.

- فكاير عبد القادر ، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505-1792م)، دار هومة ، الجزائر، 2012.
- كنون عبد الله ، النبوغ المغربي، دار الكتاب اللبناني، ط3، ج1.
- لحسن عيسى ، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى الدولة العثمانية، ط1، الأهلية للنشر، الأردن، 2011.
- متولي أحمد فؤاد ، تاريخ الدولة العثمانية من نشأتها من نهاية العصر الذهبي، إيتراك، القاهرة، 2005.
- المناوي محمد عبد الرؤوف ، الكواكب الدرية في تراجم السماوة الصوفية، (تح): محمد سمي أبوبكر، المجلد الثالث، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2009.
- مؤلف مجهول، كتاب، الاستبصار في عجائب الأمصار،(تح) سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، العراق، (د.ت).
- مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، (تر) محمد دراج، شركة الأصالة، الجزائر، ط1، 2010.
- الناصري أبو راس ، عجائب الأسفار ولطائف لأخبار، (تح) محمد غالم، الجزء الثاني، منشورات، AGP، 2008.
- يحي جلال ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، ج4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د.ت).
- يحياوي جمال ، سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين (1492-1610م)، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2005.

3- المجلات:

- بوعزيز يحيى ، جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية ، مجلة الأصالة الجزائر، رقم 26.
- دوبالي خديجة ، الغزو الاسباني على السواحل الجزائرية، (1505-1511م)، مجلة القرطاس، العدد السادس، جوان 2017
- فيرو شارل ، بجاية، (تر): اسماعيل العربي، مجلة الأصالة، العدد 19، 1974.
- فيلالي كمال ، البايلك نظام حكم في الجزائر العثمانية، الهجرة والرحلة، مجلة الأبحاث والدراسات السوسيوتاريخية حول حركات الهجرة، جامعة قسنطينة 02 أفريل 2014.

- وادي لامية ، حاضرة بجاية بين التأثير المحلي والوافد (الفئة الأندلسية أنموذجا)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 08، العدد 03، ديسمبر 2022.

4- الأطروحات:

- بوتشيش آمنة ، بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الإسباني دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016.
- بوطبة لخضر ، بجاية خلال العهد العثماني (1555-1833م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، جامعة الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2016-2017.
- عبد الله زينب، كرير أحمد ، أهل الذمة في العهد الحفصي، رسالة دكتوراه ،جامعة الزقازيق ،كلية الآداب ،قسم التاريخ، 2005.

5- الرسائل:

- عبان عبد الرحمن ، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين – دراسة في موضوعاته وبنيته- ابن معطي نموذجا، مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2018-2019.
- كليل صالح ، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني للاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة ، 2006-2007.

6- المذكرات:

- بن قومار ثريا، الدخول العثماني للجزائر والمواقف المحلية 1514-1600م، مذكرة مكملة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في تاريخ تخصص المغرب العربي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية ، 2020-2021.
- كساي جهيدة ، مقراني عبد الرؤوف، دراسة معمارية وتشخيصية لقصبة الجزائر، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في علم الآثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2021-2022.

- نحـوى بلخيـر ، الحملـة الاسـبانية علـى بجايـة وردود أفعـال الأهـالي والأتـراك (1510-1555م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، في التاريخ الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019.

7- المراجع الأجنبية:

- Ch. Texier, 1952, « Bougie antique », Revue archéologique.
- Elie De La Primaudaie, « Le commerce et la navigation de l'Algérie », Revue algérienne et coloniale, Alger, Juin 1860.
- Rozet et Carette: L'Algérie, imp, Firmin Didot frères, Paris, 1850.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

- شكر وعرفان

- إهداء

- مقدمة **01**

مدخل عام: أوضـــاع الجزائـــر في نـهايـــة القـرن 15م

تمـهيد **06**

1/- الأوضاع السياسية والعسكرية **07**

2/- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية **07**

3/- الأوضاع الثقافية والدينية **08**

4/- ضعف الدولة الموحدية وسقوطها **08**

خلاصة **10**

الفصل الأول: الغــزو الإسبانــي وبدايــة الوجـود العثمانـــي بالجزائـــر

تمـهيد **12**

المبحث الأول: . دوافع الاحتلال الإسباني للجزائر **13**

المطلب الأول: الدوافع الدينية **13**

المطلب الثاني: الدوافع الاستراتيجية والعسكرية **14**

المطلب الثالث: الدوافع الاقتصادية **15**

المبحث الثاني : بدايـة الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية **16**

المطلب الأول: احتلال منطقة المرسى الكبير (1505م) **16**

المطلب الثاني: احتلال مدينة وهران (1509م) **17**

المطلب الثالث: احتلال مدينة بجاية (1510م) **19**

المبحث الثالث : بدايـة التواجد العثماني في سواحل شمال إفريقيا **20**

المطلب الأول: ظهور الإخوة بربروس **20**

المطلب الثاني: جهود عروج في مواجهة الإسبان **21**

المطلب الثالث: بوادر ميلاد إيالة الجزائر **22**

خلاصة الفصل **25**

الفصل الثانـــي: جهـــود العثمانييـن في تحريــر مدينـــة بجايـــة

تمهيد **28**

المبحث الأول: الموقع الجغرافي وأهميته **29**

المطلب الاول: الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة بجاية **29**

المطلب الثاني: الأهمية الاستراتيجية لمدينة بجاية **30**

المبحث الثاني: التحرير العثماني لمدينة بجاية **32**

المطلب الأول: الحملة الاسبانية وسقوط مدينة بجاية **32**

المطلب الثاني: المحاولات العثمانية لتحرير مدينة بجاية **35**

المطلب الثالث: التحرير النهائي لمدينة بجاية **38**

المبحث الثالث: استراتيجية العثمانيين في بجاية **40**

المطلب الأول: الاهتمام العثماني بالمنطقة **40**

المطلب الثاني: تحصين مدينة بجاية ودفاعاتها **41**

المطلب الثالث: أوضاع بجاية خلال الحكم العثماني **43**

خلاصة **45**

خاتمة عامة **47**

قائمة المصادر والمراجع **50**

قائمة الملاحق **58**

ملخص الدراسة

قائمة الملاحق

قائمة الملاحق:

الملحق رقم (01) خرطة الدولة الموحدية

المصدر: موقع الأنترنت (https://islamonline.net/archive).

الملحق رقم (02) صورة البحر الأبيض المتوسط

المصدر: موقع الإنترنت **(www.google.com/search?sca_esv)**

الملحق رقم (03) خريطة توضح سيطرة خير الدين بربروس على البحر الأبيض المتوسط

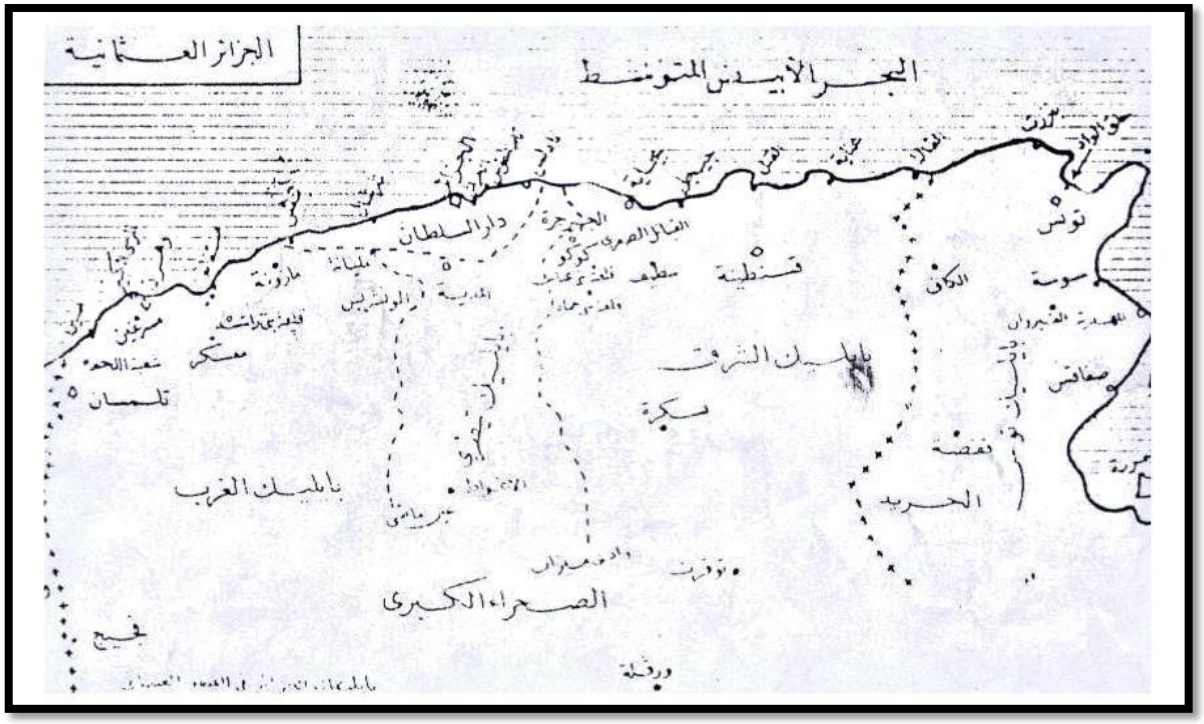

المصدر:. عمي عبد القادر حميمي ، المصدر السابق ، ص 294.

الملحق رقم (04) خرطة تبين جزر البليار

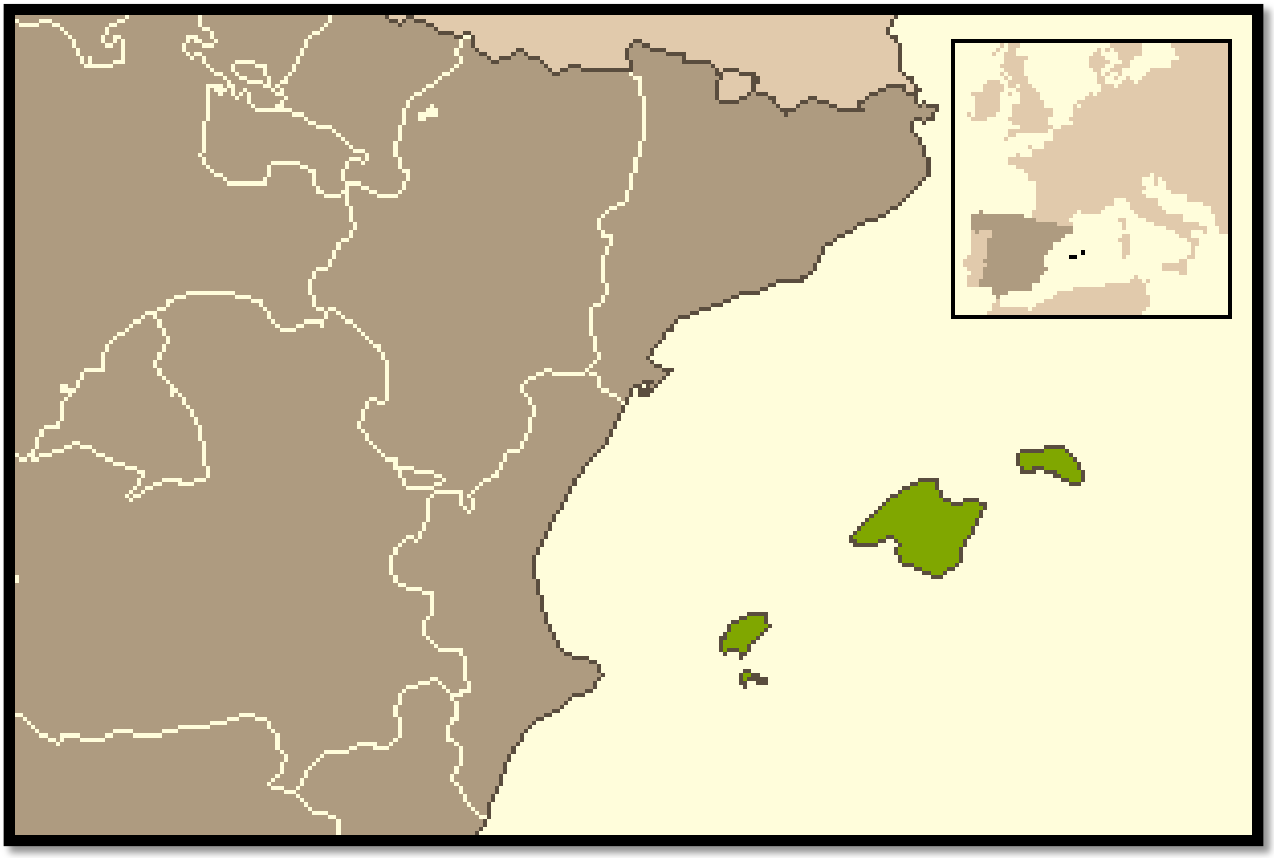

المصدر: موقع الأنترنت (https://www.marefa.org).

الملحق رقم (05) صورة لسفن أوروبية من نوع قادرغة (KADIRGA)

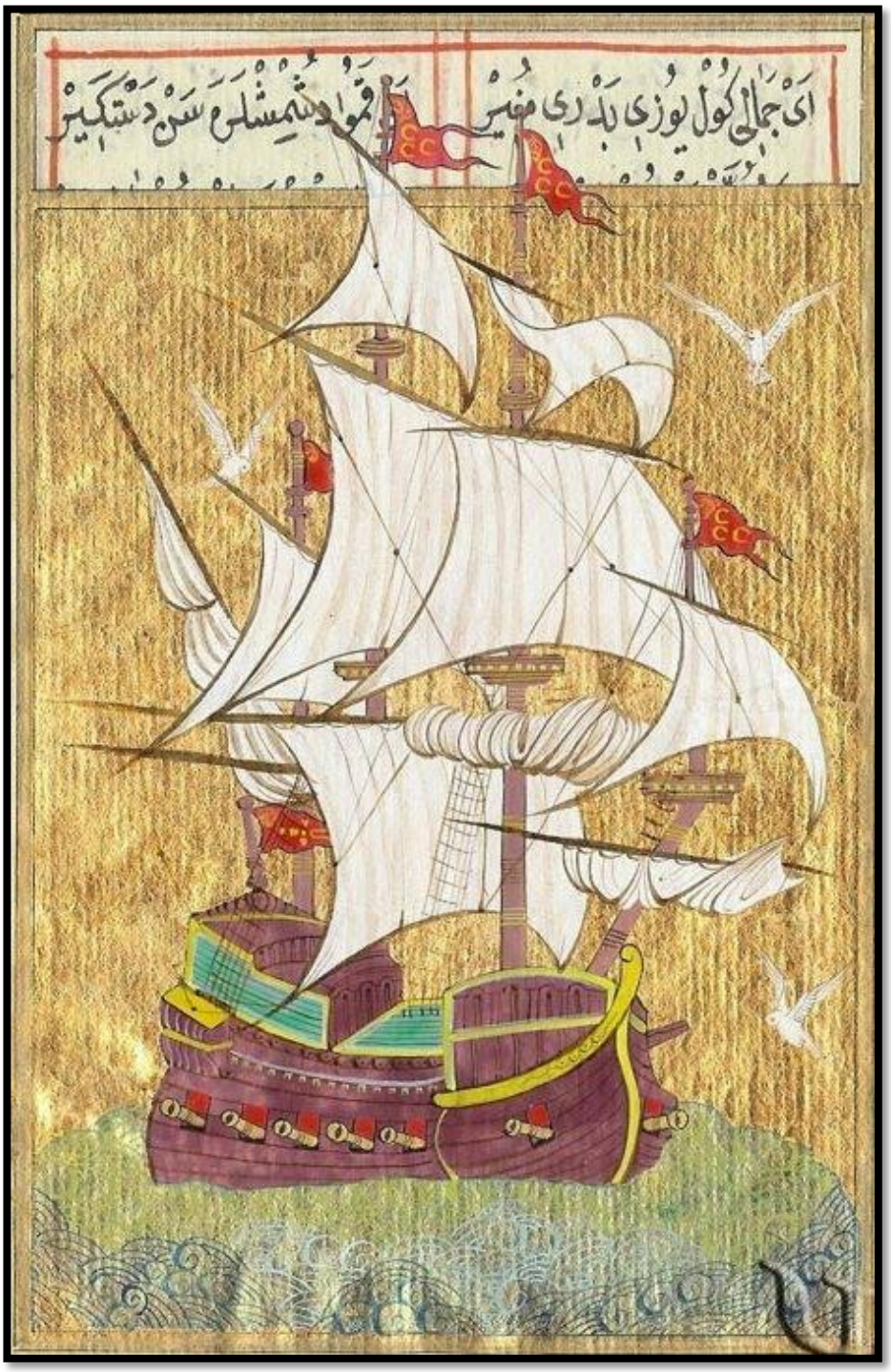

المصدر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، الجزء الثاني، ص444

الملحق رقم (06) خريطة توضح إمارة كوكو المتواجدة بمنطقة القبائل

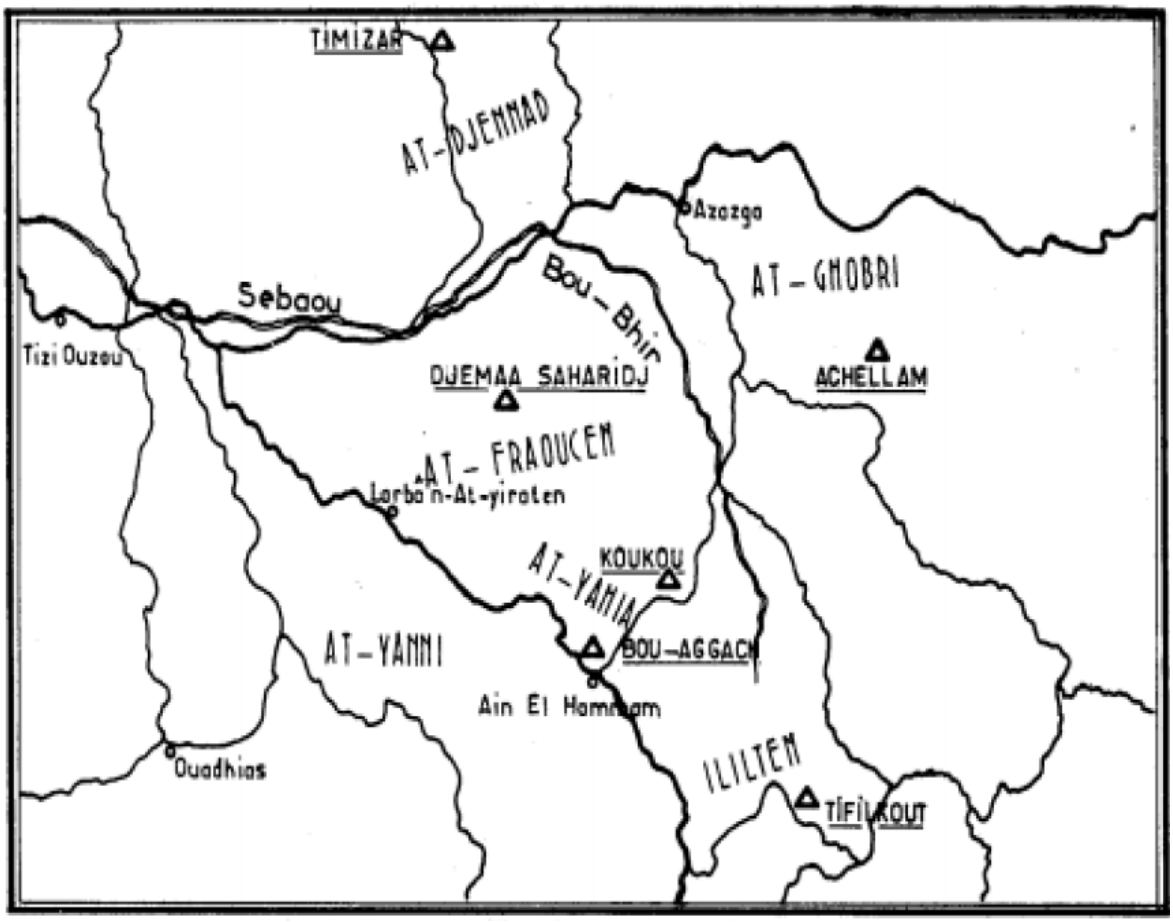

المصدر: أمال جعدي، أمينة نجار، المرجع السابق، ص101

الملحق رقم (07) صورة لضريح مرابطة يدعى "قوراية"

المصدر: موقع من الأنترنت (https://www.flickr.com/photos/31244884@N07)

الملحق رقم (08) صورة السور القديم المحاط بمدينة بجاية بعد تحصينه من قبل العثمانيين

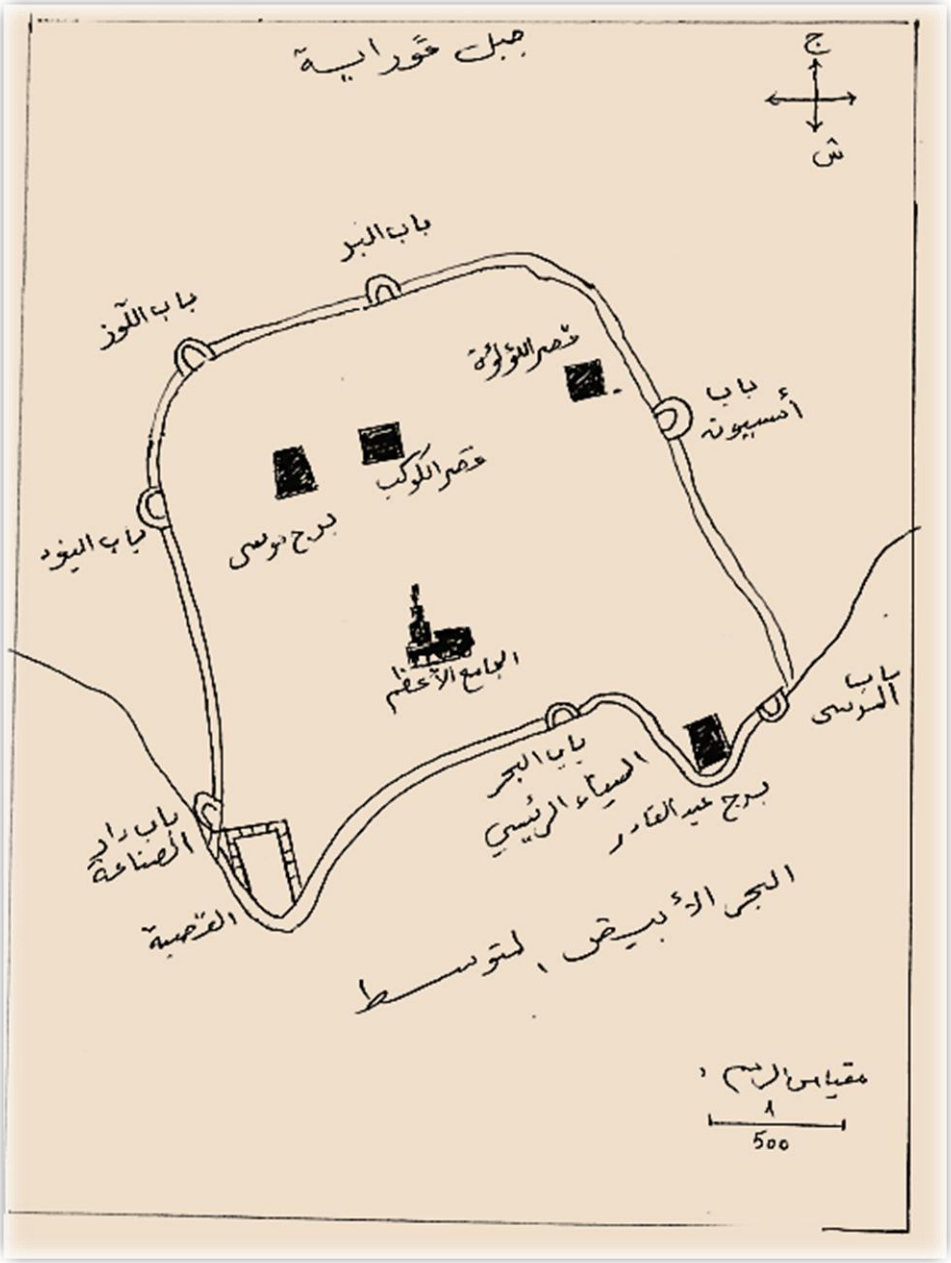

المصدر: لخضر بوطبة، المرجع السابق، ص 323.

ملخص الدراسة

بعد سقوط غرناطة بالأندلس سنة 1492م، بدأ عهد جديد من المواجهات بين القوى الإسلامية والمسيحية، فقد وجّهت اسبانيا نيران مدافعها نحو السواحل الجزائرية، التي كانت محل الأطماع الإسبانية، فشهدت غزو السواحل الجزائرية بداية من سنة 1505م احتلال المرسى الكبير، مرورا باحتلال وهران سنة 1509م، وبعد تحقيقها لهذه العمليات وجهت مدافعها نحو مدينة بجاية سنة 1510م، حيث وقعت مقاومات شديدة وعنيفة بين سكان بجاية وقوات الاحتلال، لكن باتت هذه المقاومات بالفشل بسبب المشاكل والخلافات بين سلاطينها في تلك الفترة، وهذا ما استغله العدو ونجح في السيطرة على مدينة بجاية.

وعلى الرغم من كل هذا لم يستسلموا أهالي بجاية وتنادوا للجهاد والمقاومة، حيث قاموا بطلب المساعدة من العثمانيين، من خلال الاتصال بالإخوة بربروس، حيث تصدوا بنجاح للحملات الإسبانية، واستطاعوا الدفاع عن الجزائر وإلحاقها الراية العثمانية التي أصبحت تابعة سنة 1519م، وكان للعثمانيين دور كبير في إعادة المركز الثقافي والحضاري لمدينة بجاية، وكان بإمكانهم أن يجعلوا من بجاية مقرا لحكومتهم حيث تتوفر فيها الشروط الضرورية لجعلها مؤسسة بحرية قوية.

- **الكلمات المفتاحية:** بجاية، الدولة العثمانية، الغزو الإسباني، الأثر.

Summary:

After the fall of Granada in Andalusia in the year 1492 AD, a new era of confrontations began between the Islamic and Christian forces. Spain directed its cannon fire towards the Algerian coast, which was the target of Spanish ambitions. It witnessed the invasion of the Algerian coast beginning in the year 1505 AD and the occupation of Mers-el-Kébir, passing through the occupation of Oran in the year 1509 AD, After carrying out these operations, it directed its cannons towards the city of Bejaia in the year 1510 AD, where intense and violent resistance occurred between the residents of Bejaia and the occupation forces, but this resistance failed due to problems and disputes between its sultans in that period, and this is what the enemy took advantage of and succeeded in controlling the city of Bejaia.

Despite all this, the people of Bejaia did not surrender and called for jihad and resistance, as they requested help from the Ottomans, by contacting the Barbaros brothers, where they successfully confronted the Spanish campaigns, and were able to defend Algeria and attach to it the Ottoman flag, which became vassal in the year 1519 AD. The Ottomans had a major role in Restoring the cultural and civilizational center of the city of Bejaia, and they could have made Bejaia the seat of their government, as it had the necessary conditions to make it a strong maritime institution.

- ***key words**: Bejaia, the Ottoman Empire, the Spanish conquest, the impact.*